حب

1172
١١٧٢

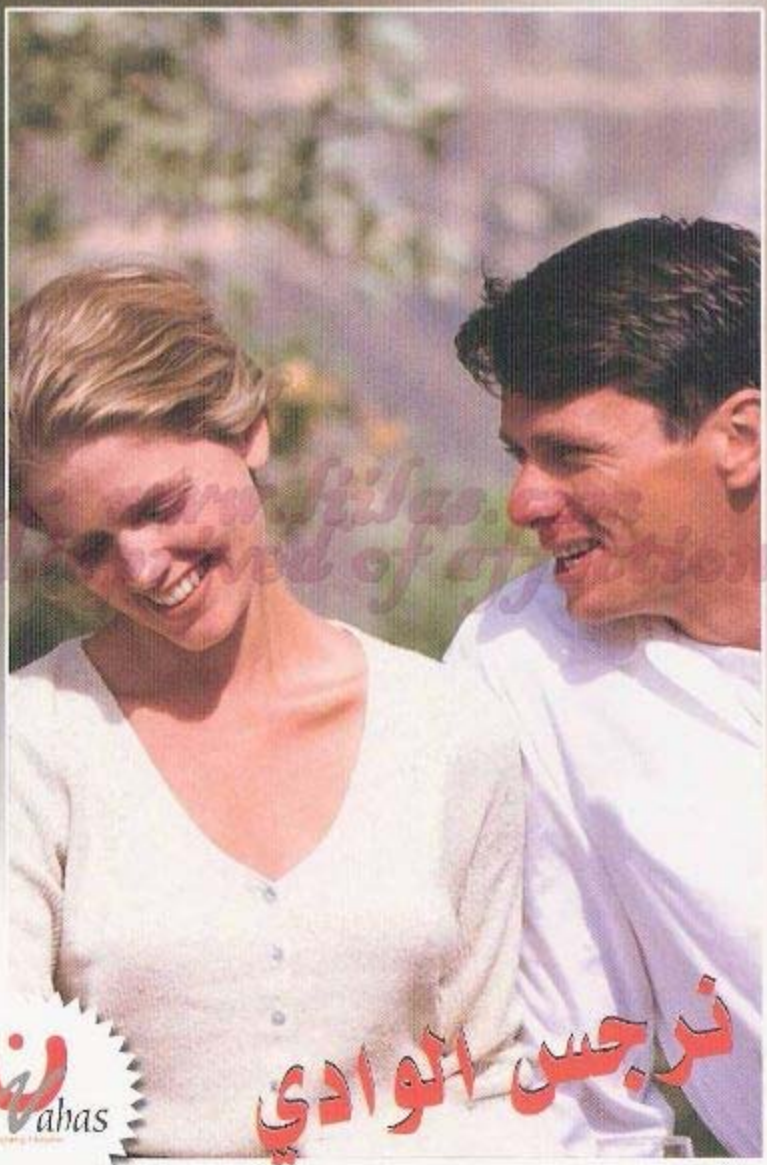

نرجس الوادي

صادر عن دار م. النحاس

نرجس الوادي

بعد وفاة شقيقتها ثم وفاة ستيفن، خطيب اختها، ورثت سارة كل ما كان يملكه من مال وأراضٍ لأنه لم يكن لديه اقرباء، مما جعل خالة المدير المشرف على المزرعة تطردها وتهاجمها بكلمات قاسية. لكن الحظ الجيد بقي الى جانبها لتبقى هناك وتتعرف على دايفيد الذي احبته من أول نظرة.

بعد وفاة شقيقتها ثم وفاة ستيفن، خطيب اختها، ورثت سارة كل ما كان يملكه من مال وأراضٍ لأنه لم يكن لديه اقرباء، مما جعل خالة المدير المشرف على المزرعة تطردها وتهاجمها بكلمات قاسية. لكن الحظ الجيد بقي الى جانبها لتبقى هناك وتتعرف على دايفيد الذي احبته من أول نظرة.

www.fajar.com Deprived of affection

لبنان: ٣٠٠٠ ل ل - سوريا: ١٠٠ ل.س - الكويت: ٧٥٠ فلس - البحرين: ١ دينار - قطر: ١٠ دراهم السعودية: ١٠ ريالات - الامارات: ١٠ دراهم - الاردن: ١.٥ دينار - المغرب: ٨ درهم مغربي - سلطنة عمان: ١ ريال - تونس ٢ دينار

52-87000-34707-5

نرجس الوادي

قالت سارة للمحامي:«ان قصة حياتي مملة وليست مثيرة، أليس كذلك؟»
«ستكون مثيرة في المستقبل.» لاحظت سارة شيئا من الغموض في صوته وهو يتابع:«ثقي بي يا آنسة، ستكون حياتك في المستقبل مثيرة. تبعا للوصية التي بين يدي، انت ترثين مبلغا كبيرا من المال وأنا اقدر هذا المبلغ...» ذكر المحامي رقما جعلها تفغر فاهها متعجبة. وأضاف:«بالإضافة الى الكروم في نيوزيلندا أعتقد ان قيمتها مرتفعة جدا.»
حدقت سارة بالمحامي وهي غير مصدقة ما تسمع.

Deprived of affection

الفصل الأول

قالت سارة وعيناها المليئتان بالحيرة ترمقان الرجل الاصلع المنتفخ الوجنتين:«لقد استلمت رسالتك التي تطلب فيها مني ان آتي وأقابلك.»

«أنا مسرور لقدومك.» حدق المحامي بنظرة تقييمية في الفتاة الواقفة امامه، نحيلة، متوسطة الطول، شعرها بني داكن ويعلو انفها النمش. لم تكن جميلة، ولكن شعر انها تملك جاذبية تشد الغير. فهي مليئة بالحيوية والنضارة وابتسامتها الدافئة العريضة والودودة كانت مثل شعاع الشمس الذي يدخل جو المكتب العفن.

بدأت سارة الحديث.«بصراحة لا بد ان هناك خطأ، فأنا لم استطع تخيل السبب الذي تريد من اجله مقابلتي.»

قال الرجل في نفسه: ان صوتها رقيق ناعم. وتساءل كيف ستكون رد فعلها عندما يخبرها عن السبب الذي من أجله طلب مقابلتها:«هل انت الآنسة سارة سميث؟»

«نعم، هذة انا. اخرجت سارة من حقيبتها ورقة مطوية:«لقد احضرت وثيقة ميلادي كما طلبت ولكن لا احد يطلق عليّ هذا الإسم الآن.» و

شعر المحامي ان ابتسامتها تأسره.«حقاً؟» تغيرت نبرة صوته. «لماذا توقفوا عن تسميتك بهذا الإسم؟»

علقت سارة:«لماذا؟» وهي تكاد ان تطلق ضحكة استغراب عالية. «ماذا سيكون شعورك لو كنت مضطراً لحمل هذا الإسم طيلة حياتك؟ وكما تعرف، استطيع

شراء اسمين مقابل بنس واحد. عندما انتقلت من لندن الى ديفون كي أقيم عند عمتي، قررت ان اغير اسمي. ومنذ ذلك الوقت اتخذت لنفسي اسم سنكلير وهو اسم عائلة والدتي. الا تعتقد ان هذا الاسم افضل من اسم سميث القديم والبالي؟»

«بالطبع، بالطبع.» ولكن المحامي كما لاحظت سارة لم يكن صاغيا وقد صب اهتمامه على مجموعة الاوراق الموضوعة امامه على طاولة المكتب. «تبعا للمعلومات التي تلقيتها من مكتب المحاماة في نيوزيلندا. ذكروا فيها انهم امضوا سنة تقريبا وهم يحاولون العثور عليك، حتى تتبعوا اثرك اخيرا الى حيث تقيمين مع عمتك في ديفون... كانت صعوبة العثور عليك بسبب تغيير اسمك!»

«اسمي أنا؟» لمعت عيناها متعجبة. «لماذا، ما دخل اسمي في كل هذا؟ وما الفرق؟»

«الفرق كبير.» اجابها المحامي بلهجة جافة: «خصوصا عندما يتعلق الامر بميراث كبير. انا مُكلف بأن ابلغك.» وأضاف بصوت جدي ورزين «تبعا لوصية المرحوم ستيفن جورافيش.»

«ستيفن؟» اتسعت عينا سارة من هول الصدمة، وقالت بصوت متهدج: «لست تعني انه... لا اصدق ذلك...؟»

رق صوت المحامي قليلا عندما رأى الألم المفاجيء الذي اعتلى وجهها: «لقد مات فجأة.»

«لا استطيع ان اصدق ذلك.» همست سارة: «لقد كان شابا وقويا. لا استطيع ان اصدق انه مات!»

قال المحامي بلطف: «لقد اصيب بسكتة قلبية مفاجئة. صدقيني إذا قلت لك انها تحدث لرجال لم يناهزوا الثلاثين من عمرهم، مثلما كان ستيفن، اكثر بكثير مما نظن.»

وبرغم كلام المحامي الملطف، بقيت سارة مذهولة من سماع خبر موت ستيفن، فيما عاد المحامي الى التكلم بحزم: «هل كنت تعرفين ستيفن جيدا؟»

قالت سارة: «نعم... لا... القصة وما فيها... لقد عرفته لمدة اسابيع فقط، كان يقوم بزيارة الى لندن.» اضافت سارة وقد بدا عليها انها تعاني صعوبة في التركيز: «لقد مضى وقت طويل على ذلك، لقد، كنت في الحادية عشرة من عمري، وكانت اختي كاتي مخطوبة إليه، ولكن...» تحشرج صوتها وتوقفت عن الكلام.

ابعد المحامي مقعده عن طاولة المكتب، وقال: «اخبريني القصة كلها، تكلمي عنهما.»

قالت سارة: «ليس هناك الكثير. اختي كاتي وستيفن التقيا صدفة، كما يحدث في كثير من الاحيان. ستيفن كان يقوم في ذلك الحين برحلة سياحية حول اوروبا، آتيا من نيوزيلندا. وقرر البقاء في لندن لعدة اسابيع قبل العودة الى بلاده. ودخل ذات يوم مخزن الاثريات الذي تعمل فيه شقيقتي والتقى بها، وطلب منها ان تكون دليله السياحي خلال فترة إقامته في المدينة.» تابعت سارة بصوت خال من التعابير: «انصب اهتمام ستيفن طوال فترة تجوالهُ في اوروبا، على زيارة كروم العنب، فقد كان يملك كرما في بلاده نيوزيلندا حيث المناخ شبيه

بمناخ البحر الابيض المتوسط. وقد ورث هذا الكرم عن جده الذي جلب من ساحل دالماتيان الشتلات الاصلية عندما قرر الاستقرار في نيوزيلندا. كان ستيفن يسعى من وراء زيارته للكروم في اوروبا ان يشتري اصنافا جديدة من الكرمة ذات جودة ممتازة يزرعها في كرمه. وقد استفاد كثيراً من الزيارات التي قام بها الى الكروم الاوروبية بالإضافة الى انه اقتبس احدث الوسائل التي طبقها فيما بعد في كرمه. ستيفن وكاتي وقعا في الحب من اول نظرة.

لقد أحبا بعضهما البعض حباً شديداً، ولكن ستيفن كان مضطراً للعودة الى نيوزيلندا في خلال ثلاثة اسابيع كي يشرف على زراعة الشتلات التي اشتراها، في الوقت الملائم من الموسم. وقد وعد كاتي بالعودة الى لندن بعد ثلاثة اشهر، وهو الوقت الذي يحتاجه في تشييد بيت جديد عوضا عن البيت القديم الذي كان يشغله. لقد أراد كل شيء مكتملا في صن فالي حين يصطحب عروسه الى الكرم، ولكن...» خفت صوت سارة الى درجة ان المحامي اضطر معها للانحناء نحوها كي يسمع ما تقول:» ... الرياح تجري بما لا تشتهي السفن.» وعاد بها الذكريات الى لحظة الوداع الأخير بين ستيفن وكاتي في مطار هيثرو، حين غرقت شقيقتها في البكاء الشديد، والتصقت بالرجل الذي كانت تحبه.

«لن ادعك تسافر.»

همس في اذنها:«لن اغيب طويلاً، يا حبيبتي، ثلاثة اشهر فقط وأعود، انها مدة قصيرة.» وبعد ذلك

نكون معاً ثانية، ومدى العمر. ونبدأ حياة جديدة.»

تمردت الطفلة سارة شقيقتها وقالت في نفسها، ليس هناك عدالة، في الأيام السوداء التي تلت مقتل كاتي، وكانت على وشك الزواج من ستيفن.

قطع المحامي الصمت الذي خيم بينهما بعد ان غرقت سارة في ذكرياتها، وسأل:«ما الذي حدث؟»

«لقد قتلت كاتي في حادث سيارة، بينما كانت في طريقها الى المطار. كانت ستغادر لندن في ذلك اليوم، مسافرة الى نيوزيلندا... اصطدمت السيارة التي كانت تقلها وأمي بسيارة اخرى انحرف بها سائقها عن الطريق. كلتاهما قتل على الفور، كاتي وأمي.»

«قتلت امك ايضا.» صدم المحامي وهو يسمع تفاصيل الكارثة ولأول مرة في حياته المهنية لم يجد كلمات عزاء مناسبة يقدمها لها. وقطع عليها، بنبرته الهادئة، الذكريات المؤلمة:«إذا انت لم تنس هذا الرجل؟»

«انس ستيفن؟» قالت وقد عادت الى نبرتها الجامدة دفعة واحدة، كل الانفعالات العاطفية:«لا احد يمكنه نسيان رجل مثله! ببساطة اقول، لا احد يستطيع. ستيفن كان رجلاً من طراز فريد رجلاً ذا وجه ويدين رقيقتين، لوحتهما الشمس بسمرة شديدة بسبب عمله الدائم تحت اشعة الشمس، وقد أخبرنا انه يشرف على العرائش على مدار السنة. كان ملتحياً، صوته عميق، ويهتم بكل ما حوله. كم تمنيت ان اعثر على شخص مثله عندما أكبر، يحبني مثلما كان يحب شقيقتي!» ظهرت ابتسامة على وجهها. «اعتقد انه كان مثالي الاعلى.»

«هل كنت تراسلين ستيفن قبل موته؟»

«نعم، لفترة قصيرة فقط، وقد اقتصرت على الرسائل التي كنت ابعثها إليه، عن علامات المدرسة، وهواياتي، والالعاب... الخ. لم يكن بإمكان رجل مثله الاهتمام فعلياً بفتاة صغيرة مثلي. وفي السنوات الاخيرة، كنت ارسل إليه بطاقات التهنئة بالاعياد، ولكنه لم يرسل قط واحدة لي فخيل إليّ حينها، انه قد نسي أمري.»

قال المحامي: «لقد فهمت.» ثم تابع: «لقد عرفت ان والدك ليس على قيد الحياة، هل هذا صحيح؟»

اومأت سارة برأسها: «لقد هجرنا عندما كنت طفلة صغيرة، وأنا لا اتذكر حتى صورة وجهه.»

«وعليه...» تابع المحامي: «... تكون عمتك هي قريبتك الوحيدة الباقية على قيد الحياة.»

«أوه، نعم.» تغيرت ملامح وجه سارة وبان عليها السرور. «انها رائعة، وهي بالنسبة لي كل العالم.»

قال المحامي بلطف: «ومن اجل ذلك، انتقلت، بعد الحادثة، للإقامة معها.»

«نعم، هذا صحيح.» فيما كانت تحاول ان تدفع عنها الذكريات المؤلمة. وكأن السعادة ردت إليها: «انا مدينة لها بالكثير.»

«لا شك في ذلك.»

وقالت سارة في نفسها، فتاة مثلها، في العشرين من العمر، لا تعيش حياً عاصفاً وهي فتاة مضجرة ومملة. قالت: «ان قصة حياتي ليست مثيرة، أليس كذلك؟»

«ستكون مثيرة في المستقبل.» لاحظت سارة شيئاً من

الغموض في صوته: «ثقي بي، يا آنسة سميث، ستكون حياتك في المستقبل مثيرة.»

«سارة. يمكنك ان تناديني باسمي الصغير.»

«لا يبدو يا سارة، انك استوعبت ما ألمحت إليه، تبعاً للوصية التي كتبها ستيفن. انت ترثين مبلغاً كبيراً من المال، معظمه مستثمر الآن في البنوك والأسهم المالية وأنا اقدر ان هذا المبلغ يساوي...» ذكر المحامي رقماً جعل سارة تفغر فاهها. «بالإضافة الى...»

وعادت سارة الى تركيز انتباهها على ما يقول: «... إلى الكروم في نيوزيلندا وأعتقد ان قيمتها مرتفعة جداً، وتقع في مقاطعة تدعى...» توقف عن الحديث وهو يحاول قراءة اسم المقاطعة المكتوب على الوثيقة.

اكملت سارة الجملة «وايماري. انه اسم من لغة الماوري ويعني الفال الحسن. لقد اخبرني ستيفن عن كل هذه الاشياء وأراني صوراً فوتوغرافية عن الكرم، الذي يقع في الوادي. وعن التلال المحيطة به والمغطاة بغابات كثيفة من الاشجار والنباتات المحلية. وقد قال لي ان كثيراً من الطائرات الصغيرة التي سقطت هناك، لم يستطع احد العثور على بقاياها بسبب كثافة الأشجار.»

«نعم من الواضح انها منطقة نائية في نيوزيلندا، وهي مليئة بالغابات التي تفصل بين المناطق السكنية والمزارع.»

«هل قلت ان ستيفن قد اورثني كرمه المحبب إليه؟» حدقت سارة في المحامي وهي غير مصدقة اذنيها. «انا لا افهم لماذا فعل ذلك؟»

«دعيني اشرح لك الوضع، يبدو ان ستيفن كان قد

كتب وصيته عندما كان في لندن منذ سنوات بعيدة، وفيها يحول الإرث الى شقيقتك التي صار يعتبرها زوجة المستقبل. وحسب شروط الوصية، في حال وفاة شقيقتك ينتقل الإرث الى اقرب اقربائها... في هذه الحالة تكونين انت الوريثة.»

«اذا ستيفن لم يتزوج بعد وفاة كاتي؟ هل كان عنده أولاد او أقارب؟»

تمتم بصوت مرتفع:«على ما يظهر، ليس في الافق ما يشير الى وجود اقارب او اولاد. لقد قمنا ببعض التحريات في نيوزيلندا، وحسب المعلومات التي وردت إلينا، فإن ستيفن كان الولد الوحيد لأبويه وبقي عازبا.»

غير المحامي موضوع الحديث بسلاسة:«لن تحصلي على المبالغ النقدية التي ستؤول إليك حسب الوصية قبل مضي فترة من الزمن، وفي الوقت الحالي استطيع ان اعطيك سلفة مقدما، بضمانة الأملاك.»

«هل ستفعل ذلك حقا!» امتلأ وجهها بالحياة. «هذا رائع بالفعل.»

تابع المحامي مناقشة بنود الوصية معها، وجعلها توقع على بعض الاوراق القانونية. كانت سارة خلالها تحاول ان تؤكد لنفسها ان ما يحدث هنا هو حقيقة وليس خيالا.

«اخبريني.» اخترق صوته مسار افكارها الحائرة. «كم من المال انت تحتاجين في الوقت الحاضر كي تتدبري امورك؟ هل بضعة آلاف من الجنيهات تكفي؟»

بضعة آلاف؟ هل قال ذلك بالفعل؟ اجابت بسرعة:«ان

كل ما احتاجه هو ثمن تذكرة الذهاب الى نيوزيلندا ومبلغ بسيط كي اغطي مصاريفي هناك.»

رمقها المحامي بنظرة حادة متسائلا:«هل تعنين انك تريدين الذهاب الى حيث الكروم؟»

نظرت إليه باستغراب:«بالطبع سأذهب. لن استطيع الانتظار طويلا كي ارى الاملاك، وأرد ان ابقى هناك مدة ثلاثة اشهر تقريبا، كي اطلع على مسار العمل في الكرم وأحصل على كل ما اريد معرفته.»

استقام المحامي، على مقعده وقال من دون ان يحاول اخفاء معالم الانزعاج التي بدت على وجهه:«اسمحي لي باقتراح... من الافضل في حالات كهذه، التريث بالأمور، ولكن إذا كنت تصرين على الذهاب لرؤية الاملاك...»

قالت سارة وعيناها تلمعان حماساً:«نعم، نعم، اريد ا لذهاب...»

عض المحامي على شفتيه استياءً وقد عرف انه لن يستطيع ثنيها عما عزمت عليه:«سأرتب اجراءات سفرك وأطلب من مكتبنا في اوكلاند ان يرسلوا شخصا يستقبلك في المطار. الكروم، كما تعرفين، تقع في منطقة نائية وعليك تدبير امورك في الوصول الى هناك في اوكلاند.»

«انا تفحصت خريطة نيوزيلندا وأعرف اين تقع الكروم.» قال المحامي مناورا:«هذا لا يعني شيئا. فعلى الارجح لن تجدي مكانا تنامين فيه عندما تصلين الى هناك.»

اجابت بثقة:«بالطبع سأجد مكانا للمبيت. لقد أقام

ستيفن سنين عديدة في ذلك المكان، ومن المرجح، ان تكون هناك مدبرة منزل... او أحد آخر. لا بد من وجود مدير للإشراف على العمل في هذا الوقت. على كل حال... انا على استعداد لتحمل هذه المجازفة.»

«دعيني اخبر المشرفين على الكرم بموعد وصولك ورقم الرحلة، و...»

«لماذا تريد مني ان افعل ذلك؟» لاحظ المحامي ان سارة تصر ولم يعد هناك من مجال لتغير رأيها: «إذا اخبرتهم ستضيع علي فرصة مفاجأتهم وستكون مفاجأة كبيرة لهم!» اني متأكد من ذلك. قال المحامي في نفسه.

اختفت الضحكة فجأة عن وجهها وتلاشى الحماس في عينيها. «هل ستخبرهم عن قدومي الى نيوزيلندا؟» لاحظ المحامي تغير النبرة في صوتها، تابعت متوسلة: «لن تفعل هذا، أليس كذلك؟ أرجوك الا تفعل.»

تردد المحامي في الجواب واستغلت سارة الفرصة لتقول: «الا تستطيع ترك الأمور على ما هي عليه الآن لفترة أطول؟ اعني، لا بد ان هناك من يعتنني بالكرم طوال هذا الوقت الذي مضى على وفاة ستيفن.»

اجاب المحامي: «في الواقع، هناك شخص يقوم بهذا العمل. وهذا الشخص امضى وقتا طويلا في العمل مع ستيفن.

«اذا، سأطلب منك خدمة، دعه الآن يتابع عمله كالمعتاد.» شعرت سارة بعدم ارتياح المحامي لهذا الاقتراح. فاستطردت محاولة اقناعه: «هل تستطيع ان تخبر المحامين في نيوزيلندا، بأنك استطعت العثور على

مكاني، وسوف تتصل بهم فيما بعد؟ ولكن ارجوك، لا تخبرهم بأني قادمة الى نيوزيلندا.»

تمتم المحامي بتردد: «اذا كان هذا ما تريدين.»

«نعم، هذا ما اريده، وشكرا لك.»

ألح المحامي برغم تأكده من عدم انصياعها لنصائحه. «نصيحة اخيرة لك.» فقد كانت مصممة بشكل نهائي على ان تفعل ما تريده.

حاول المحامي في رجاء اخير ان يعيدها الى واقع الأمور، وفي هذه المرة، طرح الموضوع من زاوية اخرى: «خذي، على الاقل، عمتك معك، باستطاعتك تحمل المصاريف الإضافية.»

لمعت عيناها بنظرة تنم عن عدم تصديق ما تسمع. قالت. وقد اختفت البسمة عن وجهها: «أخذ عمتي في رحلة تقطع فيها نصف المسافة حول الكرة الارضية، انت لا تعرفها حق المعرفة.» اعترف المحامي في نفسه بضرورة ما اقترحه عليها تابعت: «بصراحة، عمتي لن ترضى ابدا بالقيام برحلة كهذه، فهي تصاب بالدوار عندما تنتقل داخل المدينة من طرف إلى آخر، على اي حال سأطلب منها ان تسافر معي، ولكني اعرف ما سيكون جوابها على ذلك.» لا فائدة من محاولة اقناعها بأي شيء. واستسلم المحامي لما لا يمكن تفاديه.

انتهت المعاملات القانونية بعد قليل، وتسلمت سارة الشيك من المحامي ووضعته في حقيبتها. رافقها حتى باب المكتب، ثم قال: «إذا احتجت الى اي مشورة فأنا دائما في الخدمة.»

«أوه، سأحتاج الى الكثير من ذلك، ولكن ليس بشأن سفري الى نيوزيلندا.»

اقفل الباب وراءها فيما كانت اصداء ضحكتها تملأ المكان.

ودعت سارة عمتها على رصيف محطة القطارات المحلية. فيما كانت الريح الباردة تلوح شالها حول كتفيها وتدفع بالدم الى وجنتي المرأة المسنة ويجعلهما بلون زهري داكن.

وعدت سارة عمتها:«سأكتب لك رسالة كل اسبوع. وأرسل لك الصور التي التقطها عن الكروم.»

امتلأت عينا العمة بالدموع ولكنها بقيت على ابتسامتها.

«كل ما اتمناه هو ان لا تقعي في حب نيوزيلندي متعجرف وضخم الجثة.»

«لا تقلقي، لن افعل ذلك، وسأعود قبل ان تبدئي بافتقادي. اعتبري ان سفري هو لقضاء العطلة فقط، الى جانب...» وأغرق هدير محركات القطار ما تبقى من كلام سارة.

تعانقت المرأتان«وداعاً،وداعاً، انتبهي لنفسك.»ثم افترقتا، صعدت سارة الى القطار، وأخذت مكانها قرب النافذة. لوحت بيدها مودعة عمتها حتى اختفت عن ناظريها.

وصلت سارة مبكرة الى مطار غاتويك، وانتظرت طويلاً قبل الصعود الى الطائرة بعد انتهاء اجراءات السفر الرسمية. وأخيراً، ها هي الآن في مقعدها على متن طائرة الخطوط الجوية النيوزيلندية بشعاراتها الوطنية المميزة.

هدرت محركات الطائرة، وربطت سارة حزام الأمان حول خصرها، وامتلأت بالحماسة وهي تودع سماء انكلترا الملبدة بالغيوم لتستقبل سماء جنوبي الباسيفيكي المشمسة!

رن صوت رجالي في اذن سارة:«يبدو عليك السرور الشديد والارتياح.»

استدارت لتواجه صاحب الصوت، الجالس على المقعد قربها. وقد لاحظت انه في الاربعين من عمره وملامح وجهه تدل على الحنكة. ابتسمت له فهي في هذا اليوم تشعر انها تستطيع ان تبتسم في وجه اي كان «أوه، انا مسرورة جداً.»

قال بلطف:«مرحباً، أمامنا رحلة طويلة، والافضل ان نقضيها في التعرف على بعضنا، اسمي ماكسيم وينادوني ماكس، ما اسمك؟»

«سارة.»

قال الرجل:«ان العودة الى ارض نيوزيلندا الضيبة، شيء رائع، أليس كذلك؟»

لمعت عينا سارة:«انها متعة، ولكن نيوزيلندا ليست بلدي. على الأقل، ليس بعد.» وضحكت في سرها.

حدق ماكس في عينيها الصافيتين والمليئتين بالحماسة وقال:«ما هو هذا الشيء الخاص الذي يجذبك الى بلاد الكيوي ويؤثر بك على هذه الصورة؟ لا شك ان سفرتك هذه ليست رحلة سياحية عادية. وإذا سمحت لي بالقول، فإن رأيي هو انك على وشك القيام برحلة العمر المليئة بالمغامرات، وقد نفد صبرك وأنت تنتظرين البدء بها.

وواضح ان عينيك تلمعان كوميض البرق، ولن أدعي وأقول في سري ان سبب ذلك هو وجودي معك.»

تمتمت سارة: «انا اعرف ذلك، ولا استطيع منع نفسي.»

نظرت إليه بمودة ثم تابعت: «لا يمكنك ان تخمن ما يحدث معي، فأنا نفسي غير مصدقة حتى الآن ان ذلك صحيح. ان الاخبار التي تلقيتها كانت مثل السحر! واشعر اني مازلت في حلم.» تعثرت سارة بالكلام تحت تأثير نظراته الحادة: «كل ما في الأمر، انه إرث، لقد ورثت مبلغا كبيرا من المال وبيتا و... الشي الذي أثارني اكثر من غيره... كروم عنب واقعة في نيوزيلندا. وقد حصلت على كل هذا من رجل ما كنت اعرفه، لقد أوصى لي بكل ما يملك.»

رمقها ماكس متفحصا: «لا شك ان هناك بقية لهذه القصة.»

اعترت عيني سارة غشاوة: «نعم، انها أمور خاصة.»

«لا بأس، لا حاجة لاخباري بذلك، إذا، انت في طريقك لاستلام ميراثك؟»

ارتفعت معنوياتها بسرعة: «أوه، نعم. انا ذاهبة لأقضي فصل الصيف في الكرم، سأعمل هناك وأتعلم كل شيء، اعني كيفية زراعة الشتلات، القطاف، رش الأدوية، تعبئة الشراب، الى آخر السلسلة.»

علق ماكس على كلامها: «انا اعرف كل شيء عن صناعة الشراب. هذا جزء من عملي.» لاحظت سارة ابتسامة جانبية متهكمة على وجهه ثم تابع: «هذا جزء من عملي. قد تريدين معلومات كثيرة عن هذا الموضوع او ذاك.

ولكنها تخرج من رأسي بمجرد ان تنتفي الحاجة إليها، إلا ما يتعلق بصناعة الشراب، فهذا هو الموضوع الذي يسعدني في مهنتي.»

انطلقت الكلمات من فمها بنبرة تنم عن الانتصار: «لقد عرفت. انت مؤلف او كاتب صحافي او شيء من هذا القبيل، أليس كذلك؟»

أومأ ماكس رأسه بالإيجاب: «نعم انا اعمل في الصحافة ومن ميزات هذه المهنة هو تنقلي المستمر في البلاد. العنب المنتج في نيوزيلندا اصبح مادة صحافية في العالم كله. ومن أجل ذلك اجري المقابلات مع معظم منتجي العنب في نيوزيلندا، وأنا متأكد اننا سنتقابل ثانية لاحقا.»

تبين لسارة من خلال الحديث مع ماكس، انه محدث لبق ومثير، وقصص تجاربه السابقة وهو يغطي الأخبار في مناطق الحروب والكوارث تشد الانتباه وقد لجمتها عن الكلام وأمتعتها طوال فترة السفر الطويلة.

استيقظت سارة بعد نوم قصير على منظر الأفق الذهبي اللون، وعرفت ان رحلتها اوشكت على الانتهاء. ولم يمض وقت طويل قبل ان تشعر ان الطائرة بدأت بالهبوط، ومالت في مقعدها الى الأمام، تنظر من النافذة وترى اضواء المدرج.

وقفت سارة، عندما حطت الطائرة على ارض المطار، وتناولت حقيبتها من الرف العلوي فوق مقعدها.

انضمت الى صفوف المسافرين الذين ملأوا الممشى بين المقاعد ويسيرون باتجاه باب الخروج من الطائرة.

Scanned with CamScanner
Depths of Affection

لمس ماكس كتفها، واستدارت كي تواجهه، قال لها مبتسما: «حظا سعيدا مع العنب، سنلتقي قريبا.»
اجابته مبتسمة: «مع السلامة. سنلتقي قريبا...» ليس الا تعبيرا كلاميا وعلى الارجح انهما لن يلتقيا ثانية، حتى ولو كانا في بلد لا يتجاوز عدد سكانه الثلاثة ملايين وعدد رؤوس الغنم ثلاثين مليونا. بعد دقائق نسيت سارة تماما ماكس.
كانت الدنيا لا تسع فرحتها وهي تخرج من الطائرة الى مبنى المطار حيث ألقت الشمس بأشعتها الى الداخل.
هنأت سارة نفسها على حسن تدبيرها، لأنها قررت ان تسافر وهي تحمل حقيبة واحدة فقط، وان تشتري ما تحتاجه من ملابس تناسب فصل الصيف في نيوزيلندا.
انهت اجراءات الجمرك بسرعة لأنها لا تحمل غير حقيبة يدها وحقيبة السفر الصغيرة، وكانت من أول المسافرين الذين غادرو قاعة الوصول الى الخارج.

الفصل الثاني

عندما خرجت سارة من قاعة المطار، واجهتها اشعة الشمس، وشعرت بصفاء الجو والهواء المنعش ورأت الألوان المختلفة اشد وضوحا. صعدت، بعد ذلك الى الحافلة التي تنقل المسافرين القادمين الى المدينة واتخذت مقعدا بجانب النافذة.
مالت سارة بجسمها الى النافذة، ولعب الهواء الدافىء بشعرها الناعم، فيما كانت الحافلة تخرج عن الطريق الرئيسية وتدخل الى الشوارع حيث اصطفت حوانيت البيع المختلفة بمظلاتها الواقية من الشمس، ومحتويات التي تأخذ الألباب وتدهش النظر.
ثم شاهدت سارة في الشارع الرئيسي لمدينة اوكلاند، المدينة المتعددة الثقافات، العمال يخرجون من أماكن عملهم يرتدي الرجال قمصانا بيضاء وسراويل قصيرة وجوارب بعلو الركبة. والفتيات يرتدين التنانير المقلمة.
احست سارة فجأة ان لون بشرتها الابيض هو أشد بياضا من أي بشرة رأتها. مرت الحافلة بعد ذلك بمحاذاة المرفأ، حيث المياه تلمع وكأنها مغطاة بآلاف القطع من الكريستال نثرت على صفحة من الحرير الازرق.
بعدما ترجلت من الحافلة، عثرت سارة على وكالة سفر تقع على الرصيف المحاذي لمياه المرفأ، دخلت واقتربت من مكتب جلس إليه موظف بدا غارقا في احلام اليقظة. وقفز عندما رآها قادمة.

حيت سارة الموظف:«صباح الخير. لقد وصلت لتوي من انكلترا وأريد ان تساعدني في عدة اشياء.»
نظر إليها وهو غير مصدق عينيه، كانت عيناه تلمعان من الإثارة. حدق في وجهها المفعم نضارة وحماسة وقال:«وصلت لتوك، انت تبدين على احسن حال بعد سبع وعشرين ساعة من الطيران المتواصل! اخبريني كيف استطعت ان تحافظي على هذه الصورة الرائعة؟»
اطلقت سارة ضحكة:«لقد كان ذلك سهلا. انا مسرورة جدا، لوجودي في هذه البلاد، اخبرني من فضلك كيف اصل الى وايماري؟ اريد الذهاب الى كروم صن فالي. هل سمعت بهذا الاسم؟»
«اجل سمعت، من لم يسمع به؟ ان العنب الاحمر الممتاز ربح العديد من الجوائز هنا وفي الخارج. ولكني لم اتذوقه لسوء الحظ لأنه باهظ الثمن. حقا انه شيء عظيم ان يصبح لمنتجات نيوزيلندا هذه السمعة الجيدة في الاسواق العالمية. هل قلت انك تريدين الذهاب الى وايماري؟ انها تبعد قليلا عن الطريق الرئيسي ولكن عندنا حافلة تنطلق الى هناك الساعة الثالثة بعد الظهر.»
«هل سأنتظر كل هذا الوقت؟ لقد كنت أمل...»
«ليس هناك من مشكلة. عندنا حافلة اخرى للرحلات ستتحرك من هنا.» نظر الموظف الى ساعته للتأكد من الوقت وأردف:«بعد نصف ساعة، ستنقلك معظم مسافة الطريق الى هناك، ولكن كي تصلي الى الكروم، يجب ان تأخذ طريقا زراعية سيرا على الاقدام، اعني إذا لم يكن لديك مانع.»

«طبعاً، لا مانع. لقد نفد صبري من الانتظار.»
«ولكن ماذا عن حقائبك. إذا كنت ستسيرين؟»
انزلت الحقيبة عن كتفيها ووضعتها على الطاولة أمامه وقالت:«انا لا احمل إلا هذه الحقيبة الصغيرة.»
«هذه الحقيبة لن تكون عائقا. وسيكون عندك متسع من الوقت لشرب القهوة في المطعم القريب من المكتب، استمتعي برحلتك.»
دخلت سارة المقهى النظيف، ومن شدة توتر اعصابها فقدت شهيتها، تناولت القهوة وذهبت الى رصيف الحافلة وجلست على مقعد تنتظر بدء الرحلة.
جلست بجانب النافذة وانطلقت الحافلة مارة في شوارع المدينة المزدحمة بالسيارات. متعت سارة نظرها بالابنية الحجرية القديمة التي تعلوها الابراج.
عندما خرجت الحافلة من المدينة مرت بأحياء كانت مداخلها مزروعة بالأشجار الكثيفة الأوراق والباسقة ورأت سارة لافتات كتب عليها للبيع. بعد قطع مسافة على الطريق اصبحت الاكواخ الخشبية تظهر متباعدة عن بعضها البعض ومرت الحافلة بمرتفع بدا وكأنه خال من السكان الا فيما ندر. كوخ هنا وكوخ هناك او قطيع من الغنم يرعى الى جانب الطريق. ومزيد من التلال والهضاب.
لاحظت سارة بعد فترة ان الحافلة قد انعطفت عن الطريق الرئيسية وأخذت طريقا فرعية. ترنحت وتباطأت في سيرها على الارض الوعرة. كان المسلك متعرجا يصعد عبر غابة كثيفة من النباتات المحلية، كلما توغلوا ابعد في هذا المعبر الملتوي، ازدادت كثافة الاشجار

حوله ورمت بظلالها على كامل الطريق وأصبح لونها اكثر اخضرارا. أخيرا، تحولت الطريق الى الانحدار نزولا من القمة وسارت الحافلة عبر اراضٍ معشوشبة ورأت سارة الشمس تشع ثانية.

اوقف السائق الحافلة فجأة، ونظر الى سارة قائلاً:«لقد وصلت يا آنسة سميث الى وجهتك.»

لم تعر سارة أي انتباه للوهلة الاولى، ثم استوعبت فجأة، الآنسة سميث... انه الاسم المكتوب على جواز سفرها وعلى امتعتها. رمقت السائق بنظرة خالية من التعابير. قائلة:«انا لا ارى اي أثر يدل على الكرم او اي شيء آخر. هل أنت متأكد ان هذا هو المكان؟»

قال السائق:«لا تقلقي.» وقد غلفت وجهه البرونزي ابتسامة ترحيب:«ان الكرم ليس بعيدا من هنا، ولكنك لا تستطيعين رؤيته. تابعي السير على هذا الطريق الترابي حتى تصلي الى النهر. وهناك ستجدين الكرم الذي يقع بجانب الجسر، المسافة غير بعيدة.»

«لقد اعتقدت ان المسافة ستكون ابعد من ذلك.. أوه!» ادركت سارة في لحظة «هذا يعني انك خرجت عن خط رحلتك كي توصلني الى اقرب نقطة.»

اكد لها السائق مبتسما:«انت الآن لوحدك، على افضل حال.»

ابتسمت سارة وقالت:«سأكون على ما يرام.»

«صن فالي، انه مكان رائع، ستحبين هذا المكان، حظاً سعيداً.»

وبينما كانت سارة تنزل على الدرجات الحجرية المؤدية

الى الطريق الترابية، تعالت الاصوات من الحافلة مودعة:«نرجو ان نراك ثانية، انتبهي لنفسك وداعاً.»

لاحظت سارة ان المنطقة تبدو خالية إلا من أزيز النحل ورائحة ورق الاشجار. ثم رأت لافتة معلقة على شجرة كتب عليها كروم صن فالي. استدارت قليلاً مع منعطف الطريق وكادت ان تتوقف عن التنفس. فقد بدا لها بعيداً، في أسفل التل، الكرم الذي انتظرت رؤيته طويلا. صف بعد آخر من الاغصان المترامية على الاسلاك المعدنية، تفصل بينها معابر طويلة، مغطاة بالعشب الاخضر. ورأت ان كل صف ينتهي بخميلة من الورود المتفتحة. تابعت السير عبر الممر المليء بالمنعطفات متجهة الى المنزل الكبير المبني من حجارة رمادية اللون وعلى مرتفع بجانب الطريق العشبي المنحدر.

مرت سارة في طريقها الى المنزل الكبير ببركة سباحة، عكست مياهها اشعة الشمس، وتزينت صفحتها بالزهور المختلفة الألوان التي سقطت عن الاغصان المتدلية فوقها. ثم رأت المباني الخارجية المجاورة للمنزل الكبير وكان احدها مرآباً. لاحظت من مدخله المفتوح وجود سيارة صغيرة وبيك أب وجرار زراعي متوقفة داخله.

وصلت سارة بعد ذلك، الى فسحة حيث افترق عن الطريق الموصلة الى البيت ممر فرعي وضع الى جانبه عمود، علقت عليه لافتة تشير الى غرفة الاجتماعات ومهبط للمروحيات.

فكرت سارة وقد اصابها الذهول، مهبط للمروحيات، هنا في هذا الكرم!

وصلت اخيراً الى طريق عريضة صالحة لمرور السيارات تؤدي مباشرة الى البيت الحجري، وتسلقت سارة بخفة الدرجات الفاصلة بين الطريق ومدخل البيت. ضغطت سارة على زر الجرس، وسمعت اصداء رنينه تتردد في انحاء المنزل.

فتحت لها الباب امرأة، ذات ملامح صغيرة، حافية القدمين، ترتدي فستاناً صيفياً مقلماً باتت منه كتفاها. كانت بشرتها التي غطاها النمش، كالجلد الناعم البني اللون، رمقتها بتعجب وسألت:«نعم؟»

قررت سارة ان تتجاهل نبرة المرأة الجافة. وقالت في نفسها، ربما يتكوّن الشك في الغرباء من العيش في مكان منعزل كهذا:«مرحبا. انت لا تعرفيني، ولكن...» ابتسامتها التي أسرت بها قلب المحامي في لندن فقدت بريقها في مواجهة هذه المرأة. «اسمي سارة واقد سمعت الكثير عن هذا الكرم وقد أتيت...»

«انت؟» لاحظت سارة ان ملصق الخطوط الجوية النيوزيلندية قد جذب انتباه المرأة. قالت وقد بدا على وجهها الاحمرار والغضب الشديد، وحدقت في سارة بعدائية واضحة:«انت من انكلترا، أليس كذلك؟»

«لقد وصلت هذا الصباح...»

ارتفعت نبرات صوت المرأة وفقدت السيطرة على اعصابها: «أوه، انا اعرف من انت! انت الفتاة الرديئة من انكلترا! لن تلاقي اي ترحيب هنا طالما انا المشرفة على هذا المنزل. اذهبي وابحثي عن مكان آخر للمبيت.» كانت تنطق الكلمات وكأنها تصب جام غضبها على

عدو:«ربما البيت الذي في المزرعة، عند نهاية الطريق يقبلك مقابل أجرة!»

«ولكني اعتقدت...»

«لقد كان ظنك خاطئاً عندما توقعت ان بإمكانك البقاء هنا، اذهبي الآن.»

سمعت تحية:«مساء الخير.» جاءت بصوت رجولي عميق، واستدارت سارة على نفسها لتواجه الشاب ذا الشعر الداكن الذي كان يصعد الدرج متوجها إليها ولاحظت في الوقت نفسه، ان المرأة ذات الوجه الصغير الاحمر اختفت داخل المنزل بعدما كانت تقف عند الباب وتسد الطريق بجسمها على سارة.

قدم نفسه مبتسما «انا دايفيد.» وبثقة رمقها بنظرة كسولة:«ما المشكلة، هل استطيع مساعدتك بشيء؟»

قالت:«نعم، طبعا.» واللحظة نسيت سارة كل شيء حولها إلا هذا الرجل الواقف امامها، متناسق الجسم، مفتول العضلات، شعره ناعم اسود اللون، وابتسامته جذابة. من خلال هذه الصورة المشرقة، وجدت سارة هذا الرجل جذابا يأسر الالباب.

«ما هو غرضك؟»

قطعت نبرته القوية عليها اضطراب افكارها وترددت في الإجابة فكرت سارة، وسرعان ما ادركت ان من الصعب ان تفصح عن هويتها امام هذا الرجل.

«هل استطيع التحدث الى مدير الكرم؟ إذا لم يكن...» وبرغم نظرة عينيه العميقتين المفعمتين بالحياة التي احبطت معنوياتها، جهدت وأكملت جملتها:«.مشغولا او خارجا؟»

«انت تتكلمين معه في هذه اللحظة.»

اتسعت عينا سارة من الدهشة تمتمت وهي غير مصدقة: «هل تعني انك مدير كرم صن فالي؟»

«لنقل فقط...» لاحظت سارة نبرة تهكمية في صوته. «... انني اشرف في الوقت الحاضر على سير العمل.»

خرجت الكلمات من فمها بعفوية: «ولكني ظننتك احد العمال. اعني احد الذين يعتنون بشتلات العنب.»

قال بنبرة متفحصة: «انت على حق ثانية.» وتلاقت نظراتهما. احست سارة على الفور ان عينيه تخترقان اعماقها.

«حسناً، بصراحة...» حاولت سارة ان تستجمع افكارها. شيء ما، كان يجعل من الصعب جداً عليها ان تخبر هذا الغريب عن هويتها. ولكنها كانت تشعر بالارتياح لعدم ظهور المرأة الغاضبة ثانية. «اسمي، وقد وصلت هذا الصباح من انكلترا. انا...»

«سارة!» اختفت كل معالم البراءة المصطنعة عن وجهه فجأة، ولاحظت سارة من تعابير وجهه المميزة ومن عينيه اللتين كانتا تلمعان مثل عينَي قطة في الظلام، ان هناك شيئاً خطأ، وأن الموقف اصبح مشحوناً بانفعالات.

اضافت بسرعة: «سارة سنكلير.» وليظن ما يريد بهذا الاسم.

رمقها دايفيد بنظرة ريبة: «هل قلت... سنكلير؟»

اكدت له بصوت متحشرج: «نعم، هذا اسمي.» مصممة ان لا تسمح لنفسها بأن تهاب هذا الغريب القوي الشخصية.

تغيرت ملامح وجهه فجأة وقال: «يبدو ان الأمر اختلط

عليّ بسبب برقيات وردتني بمعلومات متضاربة.» الابتسامة التي ظهرت على محياه كانت تدفىء القلوب. «لقد ظننتك فتاة اخرى.»

خيم الصمت على سارة ودفعت خصلة من شعرها الكستنائي الغزير الى ما وراء اذنيها، وتسارعت أفكارها المتضاربة والحائرة. الشيء الوحيد والمؤكد هو انها لا تستطيع البقاء هنا حسبما خططت بسبب رد فعل مديرة المنزل الغاضبة عندما قابلتها. واستغربت ان لا يكون اسمها معروفاً من المدير، بالطبع كيف يمكنه ذلك، وتذكرت سارة ان اسم الفتاة التي ورثت الكرم، الاسم المذكور في وصية ستيفن وفي جواز سفرها، هو سارة سميث، وليس سارة سنكلير. ولذلك لم يبد عليه انه يعرف ان سارة سميث وسارة سنكلير اسمان لفتاة واحدة، وتساءلت في نفسها عما كان سيفعله لو تقدمت منه وأخبرته صراحة بأنها هي الفتاة الاخرى.

«لقد فهمت الوضع الآن.» تحولت تعابير وجهه من الارتياب والشك الى الارتياح، وأكمل بصوت عميق وهادىء: «لقد نشرت اعلاناً في الصحيفة المحلية منذ حوالي الاسبوع عن وجود عمل موقت في الكرم، هل جئت من أجل ذلك؟»

صدمت سارة بهذا الاستنتاج ولم تستطع التفكير بهدوء، ترددت في الجواب. حتماً سيفسر صمتها على انه علامة قبول

«كنت آمل ان يجيب احد عن إعلاني، لأني بحاجة الى مساعدة. اننا على وشك البدء بالقطاف وفريق العمل

من الفتيات المحليات اللواتي يأتين كل سنة هذا الموسم لم يكتمل عددهن هذه السنة. لم اعط تفاصيل في النشرة الإعلانية توضح ما هية الوظيفة. أني احتاج الى فتاة يمكنها القيام بمهمات مختلفة، قطف العنب، تعبئة الزجاجات، وضع الملصقات، الاهتمام بطلبات البيع الواردة بالبريد... وربما تستطيع ان تقوم بمهام المضيفة في غرفة الاستقبال وتشرف على راحة زائري الكرم الذين يصلون بالحافلات السياحية.»

اكمل المدير حديثه:«بصراحة، لقد فقدت الأمل حتى ان يرد احد على الاعلان. ولكن، على الاقل، لا شك ان احدا قد قرأه وان هناك استثناء للقاعدة. ان بنات المزارعين في هذه المنطقة الى المدينة للعمل هناك، بمجرد ان يحصلن على الشهادة الثانوية. وأي فتاة تأتي من خارج المنطقة، لا تستطيع إلقاء اللوم عليهن، وكما ارى...» اضاف دايفيد وعيناه شبه مغمضتين من وهج الشمس وهما ترمقان وجهها الشاحب:«... انت لست فتاة محلية.»

ادركت سارة في تفكيرها المضطرب ان مغزى حقيبة السفر التي تحملها لم يفته، وتمنت ان لا يقرأ اسمها الحقيقي المكتوب على ملصق الخطوط الجوية النيوزيلندية. تأكدت سارة من ان دايفيد لم يقرأ اسمها على الملصق عندما اضاف قائلا:«اخبريني، منذ متى، وأنت تقيمين في هذه البقعة من العالم؟»

أجابته:«لم يمض علي وقت طويل.»

«تماما كما ظننت. اذا لم تأتي لأنك قرأت الاعلان؟»

«لا، لم أقرأ الاعلان.»

سألها دايفيد:«انت من انكلترا، أليس كذلك؟»

ما الفائدة من محاولة إخفاء الحقيقة:«لقد وصلت نيوزيلندا، هذا الصباح.» علت صوتها نبرة التحدي ولكنها، مرة ثانية، لم تستطع تفادي نظرته المتهكمة! «لماذا تسأل هل هناك من فرق؟»

«ليس بالنسبة لي.» ظهر على شفتيه شبه ابتسامة «لكن، هذا ما يبدو عليك!»

«ماذا تعني؟» رمقته بنظرة استياء على ابتسامته الساخرة.

«نحن هنا لا نلتقي كثيرا من الفتيات على شاكلتك، هذه البشرة العسلية بلون الكريمة...» للمرة الأولى اظهر الاهتمام بها كامرأة.

قالت وهي غير مصدقة ما تسمع:«أنا؟»

مديح بسيط! ولكن لماذا اربكها وأفقدها صوابها؟ شعرت باحمرار خديها.

سألها دايفيد:«كيف اهتديت الى الطريق الى هنا.»

شعرت بالراحة لأن سؤاله ليس له علاقة بسبب قدومها الى الكرم. «بصراحة، اقلتني حافلة سياحية من اوكلاند وكانت الرحلة ممتعة حقا، عبر هذه الغابات.»

قست تعابير وجهه فجأة وقال:«انها ممتعة حقا، طالما لا توقفين السيارات... اوتوستوب... لتنقلك من مكان الى آخر عبر هذه المناطق، أنا لا انصحك بذلك.»

شعرت سارة بشيء من الانزعاج، من يعتبر هذا الرجل نفسه؟ كي يقول لها ماذا عليها ان تفعل او لا تفعل، وهو ما يكاد يعرفها! قالت بلهجة جافة:«انا استطيع الاهتمام بنفسي.» عادت الى التفكير في مشكلتها،

بعد دقيقة. وتذكرت قسوة تعابير وجهه، عندما ظن انها سارة الاخرى.

بدأ دايفيد الحديث ثانية:«في المواسم السابقة، أتاني العديد من الشبان والفتيات الغربيي الاطوار... من انكلترا، من اوروبا، من كل مكان، معظمهم كان جوالا، ينتقل من منطقة الى اخرى، ويقوم بمختلف الاعمال الموقتة، في توضيب فاكهة الكيوي، او قطف العنب في الكروم، او فرز التفاح والدراق في البساتين. اكثرهم تلاميذ يقومون برحلة سياحية وفي الوقت نفسه يغطون مصاريف سفرهم بالعمل هنا وهناك. اعتقد انك واحدة من هؤلاء؟ هل انت هنا لقضاء عطلة، وتغطين مصاريفك من العمل في الكرم؟»

هل تسعين للعمل في الكرم؟ حسنا، يبدو هذا منطقيا، قالت سارة في نفسها، وأجابت وهي تجد حاجة لاخفاء لهفتها:«نعم، أنا ابحث عن عمل موقت.»

كانت افكارها الحائرة تتدافع مع بعضها البعض في الوقت نفسه. لقد عرض عليها وسيلة للخروج من المأزق الحالي. ولديها الآن فرصة للبقاء هنا وتحقيق امنيتها في ان تعيش الحياة اليومية للكرم. هل تستطيع متابعة الخداع؟ ماذا تفعل لو اكتشف امرها مثلا؟

كيف ستكون ردة فعله عندما يكتشف انها كاذبة مخادعة؟ اسوأ ما في الأمر ان يظن انها تسللت الى صن فالي بإسم مستعار كي تراقبه وتتأكد من مدى إخلاصه والتزامه بالعمل، في املاكها.

لن يطول هذا الموقف اكثر من فصل الصيف، ثم اعود

الى انكلترا ولن يعرف احد من هنا، السر ابداً. وأنا لن أراه ثانية.

قطعت نبرته الهادئة عليها تأملاتها الحائرة:«اخبريني. هل لديك النية في الانتقال الى مكان آخر في خلال اسبوع او اثنين؟»

«لم أنوِ أي شيء من هذا القبيل.» لو يعرف الحقيقة.

«لا استطيع تقييمك تماما. يا سارة.» حركت سارة جسمها بشيء من عدم الارتياح تحت تأثير نظراته الحادة. «كما قلت سابقا، العاملات المحليات وصلن وسنبدأ القطاف غدا، وما زلت احتاج الى عاملة اخرى لهذا الموسم.» القى عليها واحدة من نظراته التي تنم عن الارتياب والتي بدأت سارة تمقتها. «هل عندك اي فكرة عن العمل الذي انت بصدده؟ وعن ساعات العمل الطويلة التي تكسر الظهر تحت اشعة الشمس المحرقة؟ لا يبدو لي انك لائقة بدنيا، هل أنا على حق؟» ومال نظره الى كاحليها العاريين اللذين لا يمكن تمييزهما، لشدة بياضهما، عن الصندل الابيض الذي تنتعله.

شعرت سارة بتورد خديها من جراء تفحصه لها وقالت:«انا قوية بما فيه الكفاية.» وأكدت له:«وبصراحة، سأدهشك.»

«هل اشتغلت من قبل في الأماكن الخارجية الطلقة؟» اعترفت سارة:«لا. اني معتادة على العمل المكتبي. لقد اشتغلت عدة سنوات.»

«أهذا كل شيء؟ هل عندك أي خبرة أخرى؟» نبرته الباردة أثارت فيها، فجأة روح التمرد. طبعت على

وجهها اجمل ابتساماتها وقالت:«انا اعزف على الغيتار واستطيع الغناء قليلاً.»

«اتستطيعين ذلك فعلاً؟»

ولدهشتها لاحظت الاهتمام المفاجىء الذي لاح عليه. اجابت:«لست محترفة، ولكني كنت اعزف لأصدقائي في حفلات المكتب وفي مناسبات مشابهة.»

«رائع. اخبريني اي نوع من الموسيقى تعزفين؟»

هزت رأسها بخفة:«تقريبا كل ما يطلبه المستمعون. الموسيقى الريفية، الاغاني الفولكلور، او اي شيء يجعل الخصر يتمايل.»

بدا الاهتمام على وجهه:«هذا عظيم.»

اعترى سارة شيء من الحيرة وسألت:«ولكنني لا ارى اي علاقة...»

طلب منها دايفيد:«انظري الى هناك.»

تابعت بنظرها في الاتجاه الذي أشار إليه بيده:«اين؟»

ورأت انه يشير إلى بيت زجاجي مجاور للمنزل الكبير.

«ان ذلك ليس بيتا زجاجيا فقط، انه يضم غرفة استقبال وغرفة اجتماعات هنا، والزائرون الذين تحملهم الحافلات السياحية الى هنا، يحضرون كي يشربوا ويأكلوا المشاوي في الهواء الطلق المنعش.»

حاولت سارة التركيز وهو يتابع حديثه:«صدقيني إذا قلت لك ان إقناع فنانين بالمجيء الى هنا، من اجل إقامة حفلة واحدة، خاصة إذا لم نطلب منهم ذلك قبل وقت، امر صعب جدا. انت الشخص المناسب الذي كنت ابحث عنه.»

«يا للهول! لم اجلب غيتاري معي من انكلترا.»

لوح بيده البرونزية في الهواء دلالة على عدم اهمية هذا العائق:«لا يهم. لن يتسبب ذلك بأي مشكلة. المهم الآن هو، إذا اردت هذا العمل، فهو لك.» قال دايفيد بحماس:«يمكنك الإقامة في الكوخ القديم الواقع على طرف الكرم. لقد حافظنا على صلاحيته للسكن بشكل جيد، وهو مريح، ايضا. انا ادفع اكثر بقليل من الاجور المتعارف عليها أيام العطل، نستطيع الاتفاق عليها بما يناسبك ويناسبني، ولكن كل شيء يتوقف على الطقس، وسنقوم بذلك خطوة خطوة... أليس كذلك؟ لا تنسي بأن تتصلي بي عندما تواجهين اي متاعب. وأنا سأهتم بها.»

وفكرت سارة، مرة اخرى، في أن لابتسامته الغامضة سحرا خاصا. قال لها دايفيد:«هل نذهب الآن؟»

لم تصدق سارة حسن حظها وأجابته:«ولم لا؟»

«رائع، هيا بنا.» امسك يدها في قبضته المتينة وشعرت سارة بارتفاع سرعة نبضها:«في المناسبة إن اسمي هو دايفيد جورافيتش.»

جورافيتش؟ انه اسم عائلة ستيفن ايضاً، وفقدت سارة الإحساس بيدها الممسكة بيده، هل دنت ساعة الحقيقة؟ لا شك في انه قريب الرجل الراحل ومن المحتمل ان يكون الوريث الشرعي للكرم.

«هل انت بخير يا سارة؟»

لاحظت من نظراته انه يتفحص وجهها باهتمام.

«لقد شحب لونك فجأة، هل انت مريضة؟»

«لاشيء. انا على ما يرام. قد يكون هذا من تأثير الحرارة.»

امتلأت عيناه بنظرة أسف:«انها غلطتي... اسف لأنني تحدثت إليك طول الوقت تحت اشعة الشمس المحرقة. تعالي الى الداخل وسأجلب لك شيئاً بارداً تحتسينه بينما انا اضعك في صورة الحياة اليومية لصن فالي. اعني بذلك الحياة العملية.»

وقف دايفيد وراءها، غير شاعر بانفعالاتها، فيما كانت تدخل المنزل، عبر الباب الفرنسي الطراز وتتجه الى الغرفة المجاورة له. لقد فات الأوان على الاعتراف بالحقيقة. عليها الالتزام بكذبتها في الوقت الحاضر. وكل ما يمكنها فعله الآن هو ان تسبح مع هذا التيار وتأمل الخير. جهدت سارة كي تستجمع قوتها وقالت:«انت المشرف على كل شيء هنا، بالتأكيد...»

اشار دايفيد الى اريكة مصنوعة من قصب الخيزران عليها عدد من الوسائد الملونة وقال:«اجلسي هنا.»

وفيما كانت سارة تأخذ مقعدها:«سأطلب من كيت ان تحضر شيئاً لتأكله، لا شك انك تتضورين جوعاً بعد رحلتك الطويلة.»

غادر دايفيد الغرفة وعاد بعد دقائق قائلاً:«ما هو العصير الذي تفضلين، عصير البرتقال او الاناناس او المانغا؟»

اجابت سارة:«عصير المانغا، لا بأس به.»

اعتذر دايفيد من سارة:«كيت تشعر بالاحراج قليلاً، ستنضم الينا بعد قليل، وتريد مني ان اخبرك بأنها عاملتك بسوء لأنها ظنت انك سارة الاخرى، وكان ذلك سوء فهم منها.» وقدم لها كوب العصير. وشعرت عندما

تناولته بالبرودة تجري في حلقها ويطعم المانغا اللذيذ.

دخلت كيت الغرفة بعد قليل وبيدها طبق مليء بالسندويشات المختلفة.

قال دايفيد بشعور من الارتياح:«هيا، انتما الاثنتان لم تتعرفا على بعضكما كما يجب. كيت هذه سارة سنكلير، سارة هذه كيت، سارة ستلتحق بالعمل عندنا لفترة من الوقت لتساعدنا في القطاف وفي مهام اخرى.»

«مرحبا يا كيت.»

«انا آسفة على... انت تعرفين... ما قلته.» استطاعت سارة بصعوبة ان تسمع كلمات كيت الهامسة:«لقد كان ذلك سوء فهم وغلطة مني. ولكن دايفيد اوضح لي الآن...»

قالت سارة:«انسي هذه الحادثة.» وقد شعرت بالارتياح لأن كيت برغم مزاجها السريع الغضب، لا تحمل في نفسها اي ضغينة.

وقف دايفيد بعدما تركت كيت الغرفة، ونظر الى سارة وقال:«حسناً يا سارة، ستبدئين العمل غداً في السابعة صباحاً. وأنا احذرك ان حرارة الطقس ستكون مرتفعة جداً في الكرم. يجب ان تكوني قوية لتحمل مشقة القطاف. ووجع الظهر والحشرات... الخ.»

اكملت سارة شرابها البارد واللذيذ وقالت:«لا مانع في أي شيء طالما ذلك سيسمح لي بالبقاء هنا طول فترة الصيف...» توقفت عن الكلام وشعرت بالارتباك. وخافت ان تخونها التعابير وتفضح ما في نفسها. استجمعت افكارها وأضافت:«انت تدير شؤون الكرم لحسابك؟»

أجاب ديفيد:«في الوقت الحاضر، نعم، هذا ما افعله، ولكنه ترتيب موقت.» وقبل ان تتمكن سارة من سؤاله عن اشياء اخرى، اضاف دايفيد:«من اي منطقة من انكلترا انت اتيت؟ لم استطع تمييز لهجة معينة.»

«هذا، لأنني اتيت من لندن.» قالت الحقيقة تقريباً، فهي اقامت هناك فترة من الزمن:«هل زرت لندن من قبل؟»

«لا، ولكن ستيفن فعل ذلك عندما قام برحلة الى اوروبا كي يتعلم الوسائل الحديثة لصناعة الشراب الموجودة هناك.»

امسكت سارة تنفسها:«ستيفن؟»

قال بلطف:«انه المالك الراحل لصن فالي، كنا شركاء.»

هذا هو الوقت المناسب للاعتراف بحقيقة قدومها الى صن فالي. ولكن إذا فعلت، ستفوت عليها الفرصة الفريدة التي رمى بها القدر في احضانها لتبقى هنا وتصبح جزءاً من هذا العالم.

قال بنبرته الهادئة والعملية:«يبدو لي انك سعيدة جدا بأن تعملي في القطاف؟» انه يتحول فجأة الى رئيس عمل. «يجب ان تعتمري قبعة لكي تتفادي اشعة الشمس وحروق الرقبة. من الافضل ان تحمي جلدك الناعم بأي وسيلة، بما فيها استعمال الكريم الواقي من اشعة الشمس.» القى عليها نظرة آمرة وسأل:«هل عندك شيء من هذا الكريم؟ وهل ستفعلين ما أقول؟»

اومأت برأسها ايجاباً. انها تحتفظ بالكريم داخل حقيبتها ولكن لا يعني هذا انها ستستعمله في حضور كل العاملات اللواتي تعودن على شظف العيش.

«هل من شيء آخر؟» رفعت سارة عينيها والتقت بعينيه.

ووجدت نفسها مرة اخرى اسيرة هذه النظرات. قاومت جاذبيته بجهد وسمعت نفسها تقول:«ماذا يجب ان افعل؟ انا معتادة على العمل المكتبي، وقد ذكرت شيئا عن الطلبات التي ترد بالبريد... الاعمال المختلفة.»

«مازال الوقت مبكرا على ذلك، وهناك الكثير من الاعمال المختلفة في الوقت الحاضر. هل تريدين ان تبدئي في المخزن؟ هل لديك اي خبرة في البيع؟»

«لا، ولكني استطيع ذلك.»

«العمل ليس صعبا او معقداً في المخزن، فمعظم الطلبات ترد الينا بالبريد، ولكني احتاج إليك في مخزن بيع المفرق، خصوصا عندما تصل رحلات السياح. قد يكون بينهم زبون متعب دائما، يعتقد ان الرحلة الصعبة الى صن فالي لا يساويها إلا الشراب الجيد.» ظهر الفخر على وجهه ثانية. فكرت، لا بد ان يكون عند دايفيد سبب وجيه للافتخار بانتاجه.

Deprived of affection

الفصل الثالث

«حسناً يا سارة، هذا كل ما في الأمر.» ووقفت سارة عندما لاحظت ان المقابلة قد انتهت.

عرض عليها دايفيد: «اذا لم يكن لديك مانع، سآخذك في جولة للتعرف على المكان لتشاهدي الكوخ الذي ستقيمين فيه. مهلا، دعيني احمل هذه عنك.» تقدم دايفيد من حقيبة سفرها الموضوعة على ارض الغرفة، بينهما.

انحنت سارة الى الحقيبة وبلمح البرق، وسحبت عنها الملصق الذي كتب عليها اسمها الحقيقي، بأصابع مرتجفة. بررت سارة حركتها: «اني احتاج الى منديل.»

توقفت سارة فجأة بينما كانا ينزلان الدرج. عندما اخترق السكون صدى اطلاق نار متتابع: «اسمع.» استدارت نحو دايفيد وقد اتسعت عيناها. «انهم يطلقون النار قريبا من هنا.»

ضحك دايفيد وقال: «لا تقلقي، هذه الاصوات ليست صوت اطلاق نار، انها تأتي من آلة القزاعة. انها تطلق هذه الاصوات على مراحل زمنية، كيف تفزع الطيور وتبعدها عن العناقيد. ولكنها تألف هذه الاصوات بعد حين ولا تعود تؤثر فيها. ولهذا وضعنا فوق العرائش، هذه السنة، شباك تغطيها. لقد آن أوان القطاف ولا نريد ان تتلف هذه الطيور جزءاً من المحصول.»

قادها، عندما وصلا الى الطابق الأرضي نزولاً عدة درجات الى القبو وفتح لها بابه الخشبي، بخلاف جو

الخارج المعرّض لأشعة الشمس الساطعة وحرارتها، بدا بارداً ورطباً. وكان مليئاً بالخوابي الخشبية والمعدنية.

«بعد القطاف، نضع العنب في خوابٍ صغيرة من الفضة كي نعصره. لقد فات الزمن على استعمال خوابي الفولاذ الذي لا يصدأ.» ثم خرجا بعد فترة، من القبو ومشيا تحت اشعة الشمس، نزولاً على المنحدر الذي يقود الى العرائش في أسفل الوادي.

«شيد القبو الذي شاهدته تحت المنزل، على طريقة المدرسة الاوروبية.» تابع دايفيد وقد دب الحماس فيه: «اني اشرف على على كل شاردة وواردة، زراعة العرائش، قطاف العنب، ملصقات القوارير والتسويق وهذا بالطبع يأخذ من وقتي، ولكن هذا لا يهم! إذا كان ذلك يعني، ان كرمك هو محور حياتك كلها، وهذا ما اعيش انا من أجله.»

كانت نبراته العميقة تنم عن الولع الشديد بمهنته، واعترى سارة شعور بأنه قد نسي وجودها معه تماماً، ولكنه عادت وأعارت انتباهها لما كان يقول: «الرجل الذي زرع هذا الكرم، اتى من دالماسيا، قليل المال، كثير الطموح. بدأ حياته الجديدة في نيوزيلندا بالعيش في خيمة، يجمع الصمغ الكاوري من الأرض الى الشمال من هنا، ولما تحقق حلمه بشراء قطعة الارض هذه، استورد شتلات كرمه من بلاده وزرعها هنا. وكان قد صمم حينذاك على ألا يكون كرمه عادياً وتجارياً. اكمل شريكي، الطريق وحافظ على هذه التقاليد، وقد عملت معه وقتاً طويلاً وكافياً كي استوعب معظم أفكاره وأساليبه. لقد أراد

ان تصبح كروم صن فالي متخصصة في الأنواع الممتازة من العنب.»

توقف دايفيد لحظة عن الكلام ليمتع عينيه بمنظر الكرم المترامي في الأسفل ثم تابع:«ان انتاج اصناف كثيرة ومتنوعة، يربك مخططات المنتج وطموحاته ويلهيه عن النوعية والجودة بشكل عام، وأنا افضل ان انتج صنفا واحدا ممتازا، على ان انتج عشرة اصناف من النوع القليل الجودة.» ان دايفيد ملتزم نهائيا بالعيش والعمل في الكرم، فكرت سارة باستياء، وأصبح من الصعب عليها الاستمرار في الاصغاء الى ما يقول. «ان هذه المهنة لم تكن عملا تجاريا قط، بالنسبة لي، بل كانت اسلوب حياة جديرة بالعيش.»

اسلوب حياة! جهدت كي تبعد عنها الشعور بالذنب وعدم الارتياح اللذين أثارتهما كلماته، أشارت الى شتلات الورد المزروعة العرائش وقالت:«اخبرني، هل شتلات الورد هي عادة اوروبية ايضا؟»

نظر دايفيد الى حيث أشارت وقال:«نعم لقد حزرت وبالنسبة لي، الوردة هي علامة الكمال.»

رمقته ضاحكة:«حقا؟ لم أكن اعتقد انك رومانسي الى هذا الحد كي تزرع الورد بين العرائش...»

«انها عملية. إذا تعرضت العرائش للإصابة بأي مرض، فذلك يظهر على شتلات الورد اولا.»

«أوه!» شعرت بالارتياح لانضمام الكلب الأسود إليهما. قال لسارة:«نسميه سام.» ثم اتجها نحو العرائش الواقعة في اسفل المنحدر.

قطعت سارة الصمت:«يبدو لي انها زرعت بطريقة هندسية، كل هذه الصفوف من العرائش المتسلقة المنحدرات حتى أعلى التل.»

«لقد مددنا الصفوف من الشمال الى الجنوب كي تتعرض العرائش لأكبر قدر من اشعة الشمس.»

ادارت بنظرها الى الوراء وأشارت الى المباني الواقعة قرب المنزل:«هل تصنعون الشراب وتخزنونها هناك؟»

«هذه ليست من تقاليد صن فالي، عندما شيد ستيفن المنزل الكبير، كان ينوي ان يتبع الاسلوب التقليدي لصانع الشراب، ان يعيش فوق المصنع ويراقب كل شيء عن كثب فيما يتعلق بالعمل، وفيما يتعلق بالعائلة ايضا. للأسف لم تتحقق هذه الامنيات لستيفن، كما تحققت لجده الذي بدأ كل شيء، فهذا الرجل استطاع ان يروض طبيعة البراري، اقتلع النباتات البرية، وزرع اشجار الماكروكارب، كي تشكل حاجزا في وجه الرياح، هل تعرفين، يا سارة؟ ان اسلوب الحياة العائلي كان السبب في نجاحه، لقد اشتغل الرجل وعائلته في الارض من دون توقف معظم حياتهم وانتصروا في النهاية.»

رمقته سارة متعجبة وتساءلت:«هل تعني بذلك ان زوجته وأولاده اشتغلوا معه، طيلة حياتهم؟»

«لِمَ لا.»

اغاظتها نبرته الهادئة اصطنعت التأسف وقالت:«لا يبدو لي ان زوجته قد تمتعت...»

«ولكنها كانت متفقة معه ولم تكن تتمنى اكثر من ان تعمل وزوجها جنبا الى جنب، وفيما بعد

عمل الاولاد الى جانبها. هذا ما ارادته بالفعل!»
عارضت سارة:«اراهن انه لم يصارح الفتاة التي كان ينوي ان يتزوجها بانها ستعيش معه اسلوب حياة كهذه وانها ستعمل من دون توقف الى الابد.»
رأت سارة السخرية في عينيه الداكنتين. قال:«ولماذا يصارحها؟ لقد كان يعرف ان لا شيء سيسعدها مثل هذا الاسلوب من الحياة الى جانب القناعة التي تستمر معها طول الحياة، حتى في يومنا هذا...»
«في يومنا هذا؟» ان الصدمة التي تلقتها اليوم بالإضافة الى الاحباط الذي تعاني منه هما سبب إثارة حنقها. ثم اضافت:«انك لن تجد، ابدا فتاة ترضى بذلك في وقتنا الحاضر. انها من نوع قد اندثر.»
قال دايفيد:«لا استطيع الموافقة معك. ان اثنين يحبان بعضهما البعض ويريدان العمل معا...»
لم تسمح سارة لنفسها بالنظر الى عينيه الساخرتين.
«انت لن تعثر ابدا على هذه الفتاة التي تتكلم عنها بحماس. اي فتاة تقبل ان تكون على هذه الصورة تكون ساذجة وبسيطة تفكيرها يرجع الى العصر الفيكتوري، لا تعشق في هذه الدنيا إلا العمل. تفعل كل ما يطلب منها وتعمل ليلا نهارا كي ترضي زوجها.» اضافت وقد احست بروح الانتقام:«كل هذا من دون اجر ايضا.»
«ماذا تعني الاجور...» رفع دايفيد حاجبيه «... عندما تكونين شريكة في هذا الاسلوب الرائع في الحياة، وحيث توزع الأسهم والأرباح سواسية؟»
قالت سارة وهي تشعر بالتشاؤم:«إذا كان هناك من

أسهم وأرباح، لماذا تدافع بكل هذه القوة عن هذه الفتاة الغامضة المفترضة، على اي حال؟ لا تقل لي انك عثرت على مثل هذه الفتاة؟»
لمعت عيناه وبان عليه تفكير عميق:«انا اعمل لأجل ذلك.»
رمقته سارة بنظرة وهي غير مصدقة ما تسمع. قال:«يقولون في البلاد المنتجة للشراب الواقعة على البحر الادرياتيكي... إذا اردت بلوغ الهناء فكل شيء تعمله، يجب ان تعمله بالحب.»
رمقته بارتياب، ولكن ملامحه الساحرة لم تنم عن شيء. ومن دون مقدمات، خطر في بالها احتمال، لو لم يتدخل القدر، هل كانت شقيقتها كاتي أتت الى نيوزيلندا وتزوجت ستيفن واقتنعت بالعمل الى جانبه في الكرم؟ لم تتجرأ سارة على افتراض الجواب.«هذا صحيح.» شيء ما في لهجة دايفيد الخافتة كان يزعجها بشكل غريب ولم تعرف ما هو. اسرعت بتغيير الموضوع. «هيا ننزل الى الوادي ونلقي نظرة على العرائش. هل من مانع؟»
«لا. هيا بنا.» نزلا المنحدر العشبي ركضا، وتوقفا عندما وصلا الى اول العرائش التي تفصل بينها ممرات عشبية كانت درجة الحرارة مرتفعة جدا بين العرائش.
قال دايفيد:«سترين الكثير منها غدا. دعينا نذهب الآن الى المبنى الزجاجي.»
قادها دايفيد الى غرفة الاستقبال الطويلة، عندما دخلا المبنى الزجاجي. ورأت ان في جدرانها صفا من النوافذ تدلت عليها عناقيد العرائش المزروعة حول المبنى والمتسلقة سقفه. كما رأت عددا من الطاولات الصغيرة

بجانب الجدران وحولها عدد آخر من الكراسي، ومقصفاً متكاملا في نهاية الغرفة. قال عندما خرجا «لنذهب الآن الى المكتب. انه مكتب تقليدي وعملي.»

ألقت سارة، في المكتب نظرة سريعة على ما حولها ورأت طاولة مكتب مهترئة، وأكواما من دفاتر المحاسبة وطلبات البيع وملفات مراسلات تراكمت عليها، ووجدت ايضا آلة كاتبة وخزانة للملفات والى جانبها شهادات مؤطرة، ولاحظت ان احدى هذه الشهادات قد اعطيت مؤخرا، وفيها تشهد ان شراب صن فالي الأحمر اصبح على رأس لائحة المنتجات المصدرة من نيوزيلندا في هذه السنة. والى جانب كل هذا رأت عددا من العلب والصناديق الفارغة متناثرة فوق أرض الغرفة.

مرة اخرى، قطعت عليها نبرة دايفيد الهادئة، افكارها: «هل تجدين هذه الآلة الكاتبة ملائمة لك؟»

«أوه، نعم، لا بأس بها.» كانت سارة تفكر في سرها ان توافق المكتب بحاجة الى التنظيف، والأوراق المتناثرة على طاولة المكتب بحاجة الى توضيب وتنسيق كي يسهل عليها العمل.

قال دايفيد: «لنذهب الآن الى الكوخ.»

عندما اقتربا من المبنى الحجري الصغير، رأت ان مدخله حجب بالكامل عن النظر ببعض الاغصان المتشابكة. وسطحه كان مغطى بعريشة كبيرة، فيما القت نبتة البوغنفيلا بأزهارها الارجوانية على الشرفة.

«يبني سكان جزر البحر الادرياتيكي، تقليدياً، منازلهم من الحجر او القرميد. ومن أمثال أهل هذه الجزر... نحن اليوغسلاف عندما نبني شيئا، فنحن نبنيه جيدا.»

«وانت؟ هل اتيت من تلك البلاد، ايضاً؟»

قال بنبرة فاترة: «هذا ليس بالأمر الذي يمكن تحديده. انا اعرف انه أصلي البعيد، اعني بعد القرابة.»

«كم هو... بعيد؟» اتت كلماتها من حلق جاف ولكنه لم يلاحظ تهدج صوتها.

هز كتفيه دلالة على الاستخفاف. «ستيفن كان الحفيد المباشر للمالك الأصلي للكرم. اما انا فقد كنت قريبا بعيدا لأخيه، الذي اتى الى نيوزيلندا قديما وقام بزراعة كرمه الخاص!» ضحك دايفيد. «اعتقد اني ورثت فقط الاسم وغريزة حب العمل. ايفان العتيق نجح في صناعة الشراب في النهاية.» رمق سارة بنظرة تحد. «عندما احسن الفعل، وتزوج فتاة انكليزية، وصلت أنتوها الى نيوزيلندا على متن سفينة... هل اسبب لك الضجر؟»

«لا، لا ابدا، فهذا يختلف عن كل شيء عرفته، انه بالنسبة إلي عالم جديد تماما.» لم تستطع سارة ان تدع نظرها يتلاقى مع نظراته وشعرت بالاحمرار يغطي وجنتيها. ما هذا الشيء الغريب الذي يربكها في هذا الرجل؟ ان اقصر تعليق منه يربك صوابها. «ماذا كنت تقول...؟»

«عن الفتاة الانكليزية؟»

هذه المرة استطاعت تفادي نظرته الساخرة.

«لقد كان سعيد الحظ بالعثور عليها قبل ان يحظى بها احد شبان المدينة. كان يحتاج بشدة الى زوجة تساعده في الكرم وفي تلك الأيام كانت الفتيات العازبات قليلات.» رمقته سارة بنظرة استياء وقالت: «لم يترك هذا العتيق ايفان... كما تسميه لهذه الفتاة فرصة للتعرف على رجل

آخر والاختيار.» وقبل ان يتمكن من متابعة سخريته منها ومن افكارها، قالت:«دعنا ندخل الكوخ، هيا؟ لا استطيع الانتظار أكثر، كي ارى اين سأقيم.»

«لِمَ لا؟» فتح الباب لها ودخلا.

عبر الغرفة ورفع الستائر عن النوافذ وفتحها ليسمح للنسيم المعطر برائحة الزهور بالدخول الى الغرفة.

«المطبخ من هنا.» وأخذها من يدها خلف ستارة فاصلة. ورأت لدهشتها مطبخاً نظيفاً جداً، مجهزاً بالأدوات الكهربائية بما فيها الثلاجة.

فتح دايفيد احدى الخزائن بداخلها الشاي والسكر والحليب المجفف والبسكويت والقهوة والعسل. قال:«عندنا الكثير من المأكولات في براد المنزل الكبير. اطلبي من كيت كل ما تحتاجين.» ثم دخلا الى غرفة النوم ووجدت سارة سريرين عليهما اغطية من الكروشيه وتلاعب الهواء بستائر النايلون عندما فتح دايفيد نوافذ الغرفة. والى جانب الغرفة حمام، ورأت ما لم تتوقعه، غسالة ثياب اوتوماتيكية.

قال دايفيد لسارة عندما عادا الى غرفة الجلوس:«اعتقد ان كل ما تحتاجين إليه موجود في هذا الكوخ.»

استطاعت، ان تظهر على وجهها ابتسامة خفيفة وان :«نعم، اعتقد ذلك، هذا المكان مريح جداً.»

«حسنا الى اللقاء في السابعة صباحاً، لا تنسي الكريم الواقي من الشمس والقبعة... وكل شيء.»

«لن انسى.» وارتسمت على وجه سارة علامات التمرد. راقبت سارة باستياء، الرجل الطويل الذي كان يعبر

الممر عائداً الى المنزل. من بين جميع الرجال الذين قابلتهم وحاولوا التدخل في حياتها، كان هذا الرجل هو الأكثر وقاحة. من المفترض ان تطيعه في شؤون العمل وواجباته، فهو المشرف على العمل ورئيسها، ولكن كيف يتجرأ على اعطائها أوامر شخصية مثل وضع الكريم! بخلاف ذلك، فهي تريد اكتساب اللون البرونزي في أقصر وقت ممكن وهذا يعني التعرض لأشعة الشمس لأطول وقت، لا ان تلف جسمها بالملابس وتغطي بشرتها بالمساحيق الواقية. فهذان الشيئان هما في أسفل قائمة اهتماماتها. رفعت سارة ذقنها عفوياً، دلالة على التحدي وقالت في نفسها، غداً في الصباح ستتوضح لدايفيد انها ليست بصدد اطاعة أوامره او الاخذ بنصائحه.

قرع الباب، فتحتهسارة ووجدت كيت واقفة وهي تحمل بعض المناشف.قالت سارة:«تفضلي بالدخول!»

تفادت كيت، تلاقي نظراتها مع نظرات سارة:«سوف تحتاجين الى المناشف. سأضعها في الخزانة.»

ابتسمت سارة لها:«شكرا لك.»

قالت كيت ورأسها لا يزال داخل الخزانة:«لم آت إليك بغية جلب المناشف فقط. انا مازلت اشعر بالأسف لما بدر مني هذا الصباح، لقد أطلقت العنان لغضبي! وأريد ان اوضح الامر. وان أخبرك...»

«لا عليك، انسي ذلك.» شعرت سارة بالارتياح لأن ضوء الغروب الخافت ساعدها في اخفاء تعابير وجهها. «لا يوجد داع...»

ولكن كيت رفضت ان تترك الموضوع قالت:«نعم هناك داع لذلك. لقد اخطأت الظن وعندما قلت ان إسمك هو سارة، وإنك اتيت من انكلترا. لقد ظننت انك سارة الاخرى.» أحست ان لهجة كيت قد تغيرت وأصبحت اكثر حدة وعدائية. «لم أكن لاترك تلك الفتاة تتخطى عتبة الباب من دون ان احذرها من الاسترسال في مخططها، كي لا تحصل على مرادها. انها...»

قاطعتها سارة:«عن اذنك. هل تريدين شرب القهوة؟»

رفضت كيت العرض بحركة من يدها«لا. شكراً... حسنا، وكما كنت اقول، حدث كل هذا منذ زمن بعيد. ستيفن، ابن اختي، الذي يملك هذا الكرم، قرر في احد الايام ان يقوم برحلة الى اوروبا، بعد ان امضى سنين عديدة يعمل في صن فالي، كي يتعرف عن كثب الى الوسائل الحديثة في زراعة العنب. وفي طريق عودته، بقي في لندن عدة اسابيع، تعرف خلالها بفتاة انكليزية. كان اسمها كاتي، وفي وقت قصير اعلنا خطبتهما.» لاحظت سارة ان كيت اطبقت شفتيها حنقا وهي تتابع:«أوه، هذه الفتاة كانت تعرف تماما ما تريد، عندما استطاعت اقناعه بالزواج منها بعد ثلاثة اسابيع من لقائهما.»

ارادت سارة الاعتراض على ما تقوله كيت، ولكنها امتنعت عن ذلك وجهدت لتركز افكارها المضطربة على ما تقوله هذه المرأة بلا رحمة.

«لقد غرق ستيفن في الحب، او هو ظن ذلك. عندما رجع الى صن فالي كان رأسه مليئا بمشاريع مستقبلية. وقد

صمم على ان يبني منزلاً جديداً ليكون جاهزاً للسكن عندما تصل كاتي الى البلاد ويتزوجها. فقد كان لا يتحدث الا عنها.» تغيرت نبرات صوتها الغاضبة فجأة وأصبحت ناعمة:«لقد كان صدمة قاسية عليه عندما علم انها قتلت في حادثة تصادم وهي في طريقها الى المطار.»

لم تستطع سارة العثور على الكلام المناسب كي ترد به على كيت، ولكنها لم تهتم لذلك، لأن كيت تابعت سرد قصتها بعينين مليئتين بالقسوة والتحامل:«على اي حال، كانت لكاتي التي تكلمت عنها شقيقة صغرى تدعى سارة، وأنا احتفظ في مكان ما هنا بصورة لها مع شقيقتها كاتي وستيفن. انها فتاة نحيلة القد، شعرها مجدول خلف رأسها مثل ذيل الحصان. لقد حشرت نفسها في الصورة بينهما. ويبدو من الصورة، ان هذه الصغيرة ماكرة جدا. لقد كانت دائما تتملقه...»

«ماذا تعنين بقولك انها كانت تتملقه؟»

«أوه، انت تعرفين، لقد استمرت في كتابة الرسائل له، سنة بعد سنة، بعد وفاة شقيقتها ثم اتبعتها بارسال بطاقات التهنئة بالاعياد لسنوات عدة. كانت تحاول اذكاء نار الذكرى في رأسه، وان تبقى في وجدانه!»

حتى لو حاولت سارة، لما استطاعت الكلام، لانها كانت تشعر بالاختناق. وكانت كيت تتكلم بسرعة انفعالية، «وهكذا عندما مات ستيفن فوجئنا بأسوأ شيء يمكن ان يقع! فعلى ما بدا، كتب ستيفن وصيته في لندن حينذاك وفيها يهب كل ما يملك الى الفتاة التي كان

ينوي ان يتزوجها، وفي حال وفاتها ينتقل الميراث الى اقرب اقربائها. وهكذا ورثت الصغيرة كل شيء وهي التي عرفها طفلة لوقت قصير ومنذ زمن طويل. لا شك انها اصبحت فتاة شابة الآن وفي اعتقادي ان شقيقتها كاتي كانت قد اخبرتها عن الوصية قبل وفاتها. وهي بالطبع لم تنس ذلك، أكاد ان انفجر من الغيظ.» تابعت وقد ازداد غضبها وانفعالها:«عندما أفكر ان كل هذا المكان قد أصبح ملكا لها، وكل ذلك، لأن الوقت لم يسمح لستيفن كي يكتب وصية جديدة.»

«وماذا عن دايفيد...؟»

«دايفيد أصغر عمراً من ستيفن، انه شاب ويعشق العمل في الكرم. عندما رجع ستيفن من اوروبا، اتخذ دايفيد مساعداً له، ودربه على كل مراحل العمل، وبعد ذلك اصبحا شريكين متساويين في صن فالي. ليس قانونيا بالطبع، لأنهما لم يجدا الوقت لكي يجلسا مع المحامين وينظما الاوراق القانونية. وكان مفهوماً عند الجميع، ان ملكية الكرم بكامله تنتقل الى دايفيد في حال حصول حادث لستيفن. اما الآن...» خفت صوتها تدريجياً وخيم صمت بينهما.

سألت سارة كيت عن أمر كان يدور في بالها:«هل توجد صلة قربى بين دايفيد وستيفن؟»

ترددت كيت قليلا:«انه من الاقرباء البعيدين، ابن، ابن، ابن عم او شيء مثل هذا، من المضحك ان يكون هذا الجزء البسيط في عروقه من الدم اليوغسلافي هو الذي اكسبه كل خبرته وعشقه لهذا العمل. والتي لا يملكها

الا اليوغسلافيون الاصليون. وبرغم بعد قرابتهما فقد كان ستيفن يعتبر دايفيد قريبه الوحيد. وكان يهتم به ويحترمه. كانت صدمة مروعة عندما مات ستيفن فجأة. كل واحد كان يعرف ان من البديهي ان يرث دايفيد صن فالي، ولكن الآن... وهذا ما يجعل الجو مشحونا بالتوتر. صن فالي تختلف عن غيرها في هذه المناطق. انها اصغر كثيراً من المعامل الاخرى. اما دايفيد... حسناً، اؤكد لك القول ان صن فالي بالنسبة إليه ليست كرم عنب وصناعة وليست عملا يقوم به فحسب، انها محور حياته، اما الآن، فأنت قد فهمت...» ألقت كيت بنظرة وَجِلة من تحت اهدابها. «... لماذا تصرفت معك على هذا الشكل عندما قابلتك في الصباح.»

حاولت سارة ان تجعل صوتها رقيقاً وودياً:«لا تقلقي. بالنسبة إلي، لقد نسيت ما حدث هذا الصباح.» وفكرت في نفسها، هل هي تستطيع بالفعل ان تنسى ما حدث؟ عندما استيقظت سارة بعد ليلة طويلة قلقة، قضتها متقلبة في فراشها، شعرت للوهلة الأولى بالاستغراب لوجودها في مكان غير مألوف. ثم ادركت سريعاً ونظرت الى ساعة المنبّه الموضوعة على الطاولة بجانب السرير. انها نسيت ان تضبط المنبّه بسبب انفعالها واضطراب افكارها. مع ذلك كان لا يزال هناك متسع من الوقت لكي تصل الى الكرم في الوقت المحدد! صبت لنفسها كوباً من اللبن وهي لا تزال مرتدية ثياب النوم، وحمصت قطعة من الخبز وحضرت فنجانا من القهوة، ثم بدأت تبحث عن شيء ترتديه بين ملابسها

القليلة. كانت مصممة على ان ترتدي ملابس تشكل تحدياً لأوامر دايفيد المتعجرفة. اختارت قميصاً من اللون الاصفر لا يغطي الا القسم الاعلى من صدرها، وبنطالاً قصيراً ملائماً معه. هكذا تستطيع ان تفهم دايفيد وجهة نظرها ازاء اوامره وهو الذي يعتبر نفسه السلطة العليا في ما يجب ان ترتديه الفتيات او في ما يجب وضعه من مساحيق على بشرتهن.

بعد قليل، مشت سارة على الطريق المنعطف المغطاة بالأعشاب لتنضم الى النساء الاخريات اللواتي تجمعن عند بداية صفوف العرائش، فيما كان دايفيد يوزع عليهن سلال البلاستيك الزرقاء.

عندما اقتربت منهن، قابلتها ابتسامات الترحيب وردت عليهن بتلويحة من يدها وابتسامة. «هذه هي سارة.» قدم دايفيد سارة للأخريات.

«اهلاً يا سارة، انا سعيدة لوجودك معنا. تعالي وانضمي إلينا.» تلقت سارة هذه التحيات ومن ثم تفرقن في كل اتجاه بين العرائش للبدء في قطف عناقيد العنب.

وقف دايفيد وحده، يبدو منشرحاً وحنوناً، ولكن لم يفت سارة رؤية شرر الغضب المتطاير من عينيه الداكنتين.

تعمدت سارة ان تمشي نحوه ببطء. قالت:«ارجو الا اكون قد تأخرت عن العمل.»

نظرته الباردة كانت مخيفة:«لا، انت لم تتأخري.»

«حسناً. لقد كنت خائفة من ذلك.» رمقته بنظرة من تحت أهدابها وقررت ان تأخذ زمام المبادرة:«انت لا تبدو راضياً عن اي شيء!»

«نعم انا غير راضٍ ولا تدّعي انك لا تعرفين لماذا!؟» نظرة الاستخفاف التي رماها بها، ضايقتها تماماً. «انا غير راض عن هذه الملابس غير الملائمة ليوم عمل تحت اشعة الشمس المحرقة. ومن دون الكريم الواقي ايضاً!»

وافقت سارة:«هذا صحيح. من دون الكريم الواقي.» تحولت نبرة صوته، فجأة الى برودة الفولاذ:«لماذا لم تفعلي كما طلبت منك؟ لماذا لا تحمين نفسك من الشمس؟»

رفعت سارة ذقنها الصغير:«انا غير ملزمة بأن افعل ما تطلب مني.»

نبرته الكسولة كانت تنطق بالعدوانية:«حقاً؟»

ذكرت سارة نفسها بأن دايفيد هو رئيسها في العمل وأرادت استدراك ما قالت ولكنها اخطأت ثانية عندما قالت:«على أي حال انا غير ملزمة بإطاعة اوامرك في ما يتعلق بي شخصياً.»

«اسمعي...»

كان دايفيد في قمة الانفعال وأحست سارة في لحظة مجنونة، انه اصبح على استعداد لضربها. ولكن بدلاً من ذلك امسك معصمها بشدة ألمتها. وأحست ان اصابعه قد انغرزت في جلدها. وحاولت بشراسة التخلص من قبضته.

«دعني اذهب، انت تؤلمني!»

ترك دايفيد يدها ولكن غضبه لم يفتر. اخذت سارة نفساً عميقاً وسريعاً، هل هي تخطت الحدود في تحديها

For the file of
Journal of affection

له؟ نظرت الى معصمها الذي مازالت آثار اصابعه ظاهرة عليه وقالت:«كل هذا الغضب لأني اردت تعريض بشرتي، قليلا لأشعة الشمس، هذا أمر سخيف.»

اجابها دايفيد بصوت لاذع كالسياط:«هذا ما تظنين.»

لم تشعر بمثل هذا الغضب في حياتها تجاه أي انسان:«اشعة الشمس، وكثير منها، هو ما اسعى إليه في هذه البلاد، فلماذا احمي نفسي منها الآن؟»

«لأني طلبت منك ذلك...»

«وأنا لا اخاف مناوراتك المرعبة...»

قال بحدة:«انت لا تخافين. إذا هيا الى العمل.»

احمرت وجنتا سارة غضباً وأجابت:«هذا ما أنوي ان افعله تماما.» وارجعت رأسها الى الوراء تحديا، مما جعل شعرها يتطاير حول خديها. انحنت والتقطت سلة البلاستيك من قرب قدميها، دون ان تنظر الى الوراء، اسرعت باتجاه اقرب عريشة. وجدت سارة العمل ممتعا في الساعات الاولى. وراقبت العاملات كيف ينتقين ويقطفن العناقيد الناضجة من عريشة الى اخرى.

قالت فتاة كانت تعمل بالقرب من سارة:« يبدو ان هذا اليوم سيكون حارا محرقا. انظري الى هذا!»

نظرت سارة الى حيث اشارت الفتاة ورأت ميزان حرارة معلقا على عمود في منتصف صف العرائش.

سألتها الفتاة النيوزيلندية بلطف:«انت جديدة هنا، أليس كذلك؟»

توقفت سارة لحظة كي تضع العناقيد التي قطفتها في السلة:«نعم. انا من انكلترا، هل تصدقين ذلك؟»

ضحكت الفتاة:«أوه، انا اصدق، بمجرد ان انظر إليك، إذا كنت لا تمانعين في اخبارك؟»

«بالطبع لا.»

«في نهاية هذا اليوم ستبدين كالدجاجة المشوية بسبب حروق الشمس.» ثم اضافت بشيء من الدهشة:«ألم يعلمك دايفيد عن الملابس التي تلائم العمل في القطاف، وعن طريق الوقاية؟»

رفعت سارة رأسها قليلاً، وأدركت ان هذه الحركة قد اصبحت عادة عندها منذ وصولها الى نيوزيلندا. اجابت:«نعم، لقد فعل ذلك وقد اجبته بأني غير ملزمة بإطاعة أوامره في هذا الشأن.»

ضحكت الفتاة الاخرى وقالت:«إذاً، هكذا تصرفت؟ اسمعي، انا احمل بلوزة بكمين طويلين للاحتياط، كما جلبت معي الكريم الواقي، انت على الرحب في استعمالها إذا...»

«لا، شكرا. سأكون بخير، لكني لا استطيع الانتظار طويلا كي اكسب اللون البرونزي مثل بقية العاملات.»

ظهرت الجدية على وجه الفتاة المرح:«سيكون ذلك مؤلما للغاية...»

قالت سارة بخفة:«لا يهم ذلك. ان ما اسعى إليه جدير بدفع ثمن كهذا.» أضافت وهي تغير الحديث:«اخبريني، ما هي هذه الطيور الصغيرة التي ترفرف بين العرائش؟»

ادركت الفتاة ان لا جدوى من متابعة الحديث حول الملابس وحروق الشمس فأجابت:«يسمون هذه الطيور ذيل المروحة، انها طيور جميلة أليس كذلك؟»

ولكن سارة لم تسمع شيئاً في هذه اللحظة، وفجأة، ترددت صرختها في اجواء المكان:«النجدة.» وقفزت متراجعة، فتعثرت بسلة العنب، التي انقلبت ونثرت العناقيد التي فيها على الارض. اتسعت عيناها وهي تحدق بخوف ودهشة في حشرة كبيرة سوداء ذات قرنين طويلين وخطرين.

هرعت إليها الفتاة التي كانت تتحدث معها. قالت سارة وهي ترتجف من هول الصدمة:«انظري.» ثم صرخت ثانية وهي تشاهد قرنيها العدائيين يتجهان نحوها:«الى هذه الحشرة...»

اتى دايفيد مسرعاً من بين العرائش باتجاهها:«ما الخطب؟ من اطلق صفارة الإنذار. هل هذه انت يا سارة؟ هل لسعتك العنكبوت؟»

قالت وهي ترتجف من الخوف:«ليست عنكبوتاً... انه هذا الشيء المخيف. لقد زحفت من داخل العريشة وهاجمتني!» فركت سارة رسغها في موضع اللسعة التي بانت احمراراً على جلدها.

قال دايفيد:«دعيني ارى موضع اللسعة.»

مدت يدها إليه. ونظر إليها ضاحكاً:«لا شيء خطراً او جدياً اصابك من هذا الشرس الذي لا رحمة في قلبه. هذه العنكبوت العنيفة تبدو مخيفة اكثر مما هي الحقيقة. ما يجعلها مخيفة هو قرنا الاستشعار الطويلان. إذا حشرت في زاوية، تلسع ولكنها تكون خائفة منك اكثر من خوفك منها.»

«لا شك انها كذلك.» احست سارة بالحاجة لضرب

نفسها لأنها جبانة. صرخت وتأوهت وأقامت الدنيا واقعدتها بسبب حشرة غير مؤذية.

قال:«خذي قسطاً من الراحة في الظل. سأجلب علبة الاسعافات الاولية من البيت، احتياطاً.» قادها بين العرائش الى ظل شجرة. وفي هذه المرة لم تعترض سارة على طريقته المتعجرفة في التصرف معها.

شعرت سارة، في الظل بالهواء المنعش المعطر برائحة الصنوبر. وأحست بالراحة عندما ألقت بنفسها على العشب الاخضر. ولم تشعر بالوقت يمضي الا عندما عاد دايفيد ومعه انبوب مرهم طبي.

بينما كان دايفيد منحنياً فوقها، يضع المرهم المعقم فوق البقعة الحمراء على رسغها، لامس شعره الاسود خدها. وأحست ان لمسته قد هزت اعماقها بطريقة لم تستطع معها السيطرة على نفسها. انها سعيدة لأنه استعمل لمسته في إزالة نتائج اللسعة. رفعت رأسها في هذه اللحظة ورأت لبرهة الشرر يتطاير من عينيه وأدركت انه احس بتأثير لمسته عليها، وسارعت الى القول:«لقد هزتني هذه التجربة، انا غير معتادة على وجود الحشرات بهذا الحجم.»

«ستعتادين عليها.» تمتم وكأنه يتحدث الى شخص آخر. «هل تشعرين بتحسن؟ هل يمكنك العودة الى العمل؟ إذا كنت تفضلين...»

اكدت له سارة:«بالطبع استطيع العودة الى العمل.» ووقفت دلالة على قدرتها:«لقد ضيعت الكثير من الوقت.» بينما كانا يسيران معاً للالتحاق بالعاملات اللواتي كن

يتحركن ببطء بين العرائش، تساءلت سارة في ما إذا تخيلت رؤية نظرة اعجاب في عينيه.

ارتفعت درجة الحرارة ورطوبة الجو الى درجة الاختناق عندما اقتربت الشمس من قرص السماء الزرقاء الصافية، وبدأت سارة تشعر باحتراق بشرتها وذراعيها ورقبتها.

جلبت كيت للعاملات في الكرم عصير الفاكهة اللاذع والمثلج، عدة مرات خلال النهار، وجلست سارة في فرصة الغداء بجانب الاخريات في ظل شجرة عملاقة وشاركتهن الطعام وشرب العصير المثلج.

كانت رفيقاتها في العمل، مجموعة من الفتيات المرحات وقد ألقين عليها اسئلة متلهفة عن انكلترا، وهل شاهدت مسارح لندن ومعارضها الفنية، التي كنّ قد قرأن عنها في المجلات السياحية؟

هزت سارة رأسها نافية:«انا لم اكن اعيش في لندن، الى جانب ان الانتقال الى لندن والإقامة ليلة واحدة في الفندق لمشاهدة عرض مسرحي، هما أمر باهظ الكلفة.»

علقت احدى الفتيات على ما قالته سارة:«نعم، انا اصدق ذلك. لا شك انك وفرّت على نفسك كثيراً كي توفري ثمن التذكرة الى نيوزيلندا لتمضي العطلة؟»

حولت سارة نظرها عنهن وقد شعرت بالإحراج، وأخذت تقتلع العشب الذي تحت قدميها. شعرت بالإعياء قليلاً لأنها تخدع هؤلاء الفتيات الطيبات اللواتي أبدين اهتماماً بسلامتها من تأثير اشعة الشمس على بشرتها.

قطعت ضحكة نسائية على سارة تأملاتها غير السارة.

«من حسن حظك يا سارة، انك لم تأخذي بجريرة الفتاة التي ورثت صن فالي!»

جمدت سارة وتوقفت اللقمة في حلقها. أكملت الفتاة حديثها:«يقال انها تعيش في انكلترا، ولكن إذا كانت بالفعل تقيم هناك، فإن المحامين لا يستطيعون العثور عليها، لقد مضى اكثر من سنة على وفاة ستيفن، وربما لن يعثروا عليها ابداً...»

قالت فتاة اخرى:«وبهذا، يستطيع دايفيد ان يبقى في صن فالي الى الابد وتبقى الامور على ما هي عليه.»

تدخلت ثالثة في الحديث:«هو فعلياً المدير والمشرف على الكرم، ولكنه ليس المالك، برغم ان من حقه ان يكون المالك ولكنه ليس كذلك. هو سيستمر في ملء الفراغ الحاصل حتى ظهورها.»

همس صوت نسائي آخر بنعومة:«ربما تأتي الى هنا ويقع دايفيد في حبها بجنون، ويتزوجان ويصبح شريكاً حقيقياً ثانية، كما كان الحال مع ستيفن.»

ارتفعت عدة اصوات دفعة واحدة:«لا تتكلمي بهذه البلاهة! هل حقاً تعتقدين ان دايفيد سيبتلع كبرياءه ويسترجع حقه في الكرم بهذه الطريقة؟ سيكون في موضع... مغتصبي الثروات. على أي حال، ستكون هذه وجهة نظره.»

«ولكن صن فالي هي محور حياته كلها، ومن الممكن...»

«ابداً!»

«ولكن إذا احبها، احبها فعلاً، وأنا اعني...»

«لن يهمه ذلك في شيء، ليس دايفيد. تصوري ان يطلب من الفتاة التي تملك المكان ان تتزوجه! هذا آخر شيء يمكن ان يفكر به، حتى ولو كان يحبها لدرجة الجنون. انت تعرفين مدى كبريائه.»

تدخلت فتاة جديدة في الحديث بصوت هادئ:«ربما لا يزال يحب لين.» اثارت هذه الجملة انتباه سارة وأخذت تتنصت باهتمام، لم تستطع منع نفسها عنه.

«كلاهما لم يتزوجا حتى الآن، انتنّ تعرفن هذا النوع من العلاقات الغرامية، عندما لا يبدو على الطرفين انهما سعيدان مع بعضهما، ومع ذلك يفتقدان بعضهما البعض عندما يفترقان.»

اختلطت الاصوات في أذني سارة، كانت تشعر بغرابة. تقريبا مريضة، رغم انها لم تقل ذلك لأحد. شعرت بوجع قاتل يضرب صدغيها، وأصبحت لسعة العنكبوت التي ظنت انها لن تسبب لها المشاكل اشد إيلاما من قبل.

قطع صوت ودي عليها افكارها:«هل تؤلك لسعة العنكبوت؟»

سألتها فتاة حمراء الشعر ذات وجه مستدير:«سأضع مرهما على موضع اللسعة.» ثم سحبت الفتاة انبوبا من جيب بنطالها الجينز القديم وأخذت تضع منه على البقعة الحمراء على رسغ سارة. «ستكونين على ما يرام، أليس كذلك؟» ولكن نبرة صوتها اللطيفة تحولت فجأة الى نبرة هلع لأنها رأت لون سارة قد شحب تحت لون الاحتراق على خديها.

تمالكت سارة نفسها ومرت لحظة الشعور بالدوار:«أنا بخير... اقسم بذلك.»

بعد ذلك... لم تستطع سارة ان تتذكر الا القليل عن عصر ذلك اليوم الذي بدا بلا نهاية. شعور مشوش بالحرارة والألم والإرهاق. انتهى العمل اخيرا، وتسلم دايفيد آخر كمية من العنب ووضعها على الجراز وأخذها الى القبو. تعثرت وهي تسير على الطريق الى الكوخ كالعمياء، وترمي بنفسها على السرير عندما وصلت، مغبّرة، مبعثرة الشعر، ملطخة بالبقع من عصير العنب الاحمر. لم تشعر سارة الا بوجع رأسها، والألم في ظهرها والأحساس بأن جلدها كله قد شوي على النار شيا. مع حلول الاصيل برد الجو قليلا ومع ذلك كانت تشعر بارتفاع حرارتها.

Deprived of Liberty

الفصل الرابع

استيقظت سارة من غيبوبتها، فيما كانت السماء موشاة باللون الزهري، وبقيت من دون حراك، تحاول ان تتذكر من خلال افكارها المشوشة، ما حدث لها في الساعات الاخيرة التي مضت.

كانت متأكدة من أمر واحد فقط، انها تشعر بوهن. وضعت قدميها على ارض الغرفة وأحست انها مترنحة قليلا. شعرت سارة بالعطش ودلفت الى المطبخ المجاور لغرفة النوم، توقفت هناك! هل هي لا تزال تعاني من الهذيان؟ تساءلت وهي تحدق في دايفيد الذي رأته مستلقيا على جانبه الأيسر على الاريكة، وكان شعره اشعث وما يزال يرتدي ثياب العمل المتسخة، التي كان يرتديها بالأمس.

مشت. الى حنفية الماء، حافية القدمين وملأت كوباً من الماء البارد. حاولت ان لا تحدث اي صوت كي لا توقظ دايفيد ولكن عندما استدارت وجدته يراقبها باهتمام. سألها وهو ينهض:«سارة، هل انت بخير الآن؟» ولاحظت ان عينيه تلمعان بعاطفة لم تستطع تفسيرها. قالت في نفسها هل هو الاطمئنان؟ مستحيل!

دفعت بشعرها المثقل بالغبار الى الوراء«نعم، بالطبع انا بخير.» سألته بغباء«ماذا تفعل هنا؟» ثم استدركت بعد ثوان وتكلمت ببطء«لقد فهمت... لقد امضيت الليل كله، هنا.»

اجاب:«هذا صحيح. لقد كنت بحاجة الى من يسهر عليك، لأنك كنت غائبة عن الوعي وتهذين.»

رفعت سارة حاجبيها المثقلين تعجبا«كنت أهذي؟»

قرعت اجراس الخطر في رأسها على الفور. هل ذكرت في هذيانها ما يمكن أن يفضح سرها ويهدم كل مخططاتها؟ قالت وهي تتنفس بصعوبة«ماذا كنت اقول في هذياني؟ هل نطقت بكثير من التفاهات؟»

«بالتأكيد كنت كمن ينادي بوقوع جريمة قتل غامضة وتصرخين طالبة المساعدة من العناكب التي تلاحقك في غرفة ما. كان صوتك اشبه بصوت ممثلة تقوم بدورها في فيلم رعب! وقد وجدت من الافضل ان ابقى الى جانبك والتأكد من سلامتك.»

تنهدت سارة بارتياح. كل شيء على ما يرام وسرها لا يزال بأمان. جلست على الكرسي شربت الماء البارد.

«انا لم افهم بعد، ما الذي حصل لي ليلة البارحة؟»

«لقد اصبت بضربة شمس! واعترتك حمى قوية استمرت عدة ساعات، وكما يظهر الآن، فقد زالت عنك.»

صرخت سارة وهي ترى انعكاس صورتها في المرآة:«يا للهول.» شعرها الاشعث، عيناها المحاطتان بدوائر سوداء، وجهها وذراعاها وكتفاها مصبوغة بلون قرمزي بشع. «كم ابدو قبيحة!» شهقت واستدارت نحوه:«برغم ذلك سأساعد في القطاف اليوم! وسأكون في افضل حال بعد ان استحم بالماء البارد. يجب ان اعود الى العمل. لقد اعطيتك وعدا.»

نظر دايفيد وقال:«لا قطاف اليوم. انسي ذلك.» ثم

قاطعها «لقد استبدلتك بفتاة اخرى اليوم.»
«ولكن ماذا استطيع ان اعمل، إذا؟»
«لا ضرورة لأن تعملي اي شيء اليوم.» رق صوته: «ان الغد ليس ببعيد، كي تعملي ثانية.»
اصرت بعناد: «ولكني اريد العودة الى العمل اليوم.»
هز دايفيد كتفيه العريضين: «بامكانك الذهاب الى المكتبة ساعة او ساعتين، إذا شئت، ووجدت ان صحتك قد تحسنت كفاية.» لقد تحول ثانية الى رئيسها في العمل، وبدأ يتكلم بنبرة باردة وعملية وواقعية! هل من المعقول ان يكون هو الرجل نفسه الذي سهر عليها طول الليل؟
قالت سارة بصوت متعثر: «شكراً.»
بانت على وجهه ضحكة متهكمة: «شكراً... على ماذا؟»
ترددت لحظة وقالت بصوت خافت: «انت تعرف، لأنك ساعدتني في التغلب على ضربة الشمس.»
ظهرت ابتسامة حائرة على فمه: «أوه، من اجل ذلك، لم افعل اكثر من ابقاء التنين بعيداً.»
لمعت عينا سارة الخضراوان وابتسمت قائلة: «مثل فارس الاحلام الذي يأتي مرتديا دروعه البراقة، أليس كذلك؟»
«يمكنك القول، إنه شيء من هذا القبيل، كيت مدت يد المساعدة ايضاً.» نبرته الخالية من أي تعبير جعلتها تشعر وكأنها طفل تلقى التأنيب من شخص راشد.
يا للمصيبة! كانت سارة تغلي في داخلها، هل اساء فهم كلامها وظن انها تستميله؟
انتبهت سارة ثانية لنبرات صوته العميقة، إذ قال: «عليك أن تستريحي اليوم وباستطاعتك تسلم العمل في المكتب

وفي المخزن حيث تقومين بخدمة الزبائن من الآن... حسناً؟ سوف أراك في الغد.»
ردت عليه بحزم: «لا، سوف تراني اليوم.»
قال بعد تردد: «إذا كنت واثقة من قدرتك على ذلك.»
قالت سارة بثقة وصوت مرتفع: «بالطبع يمكنني ذلك، انا الآن في احسن حال.»
قال لها ضاحكاً بسخرية: «انت، بالتأكيد، مثل الطفل، لا يمكن معاقبته.» وخرج من الكوخ.
قالت سارة لنفسها عندما اصبحت بمفردها في الغرفة، عليها ان تتحسن وتعود الى قوتها، وان الاحساس بعدم التوازن سيزول عنها سريعاً، وكل ما يهمها الآن هو ان تبرهن عن نفسها وعن قدرتها امام رئيسها الذي لا يحتمل. أزال الحمام البارد بقع عصير العنب والغبار عن جسمها، وشعرت بالنضارة والحيوية ثانية. وتحول شعرها بعد غسله بالشامبو والماء البارد الى خصل ناعمة حريرية الملمس.
جففت نفسها وعالجت حروق الشمس المؤلمة على بشرتها الحمراء، بعد ان وجدت على الطاولة مرهماً. قالت لنفسها كم هي مدهشة الطريقة التي يخفي الماكياج بها، العيوب التي خلفتها الشمس على جلدها، ان اللون البرونزي الذي تريد اكتسابه بسرعة لتظهر مثل نساء نيوزيلندا ورجالها يستحق دفع مثل هذا الثمن.
بعد ان وضعت قليلاً من الماكياج، ارتدت بنطال الجينز وقميصاً قطنياً أبيض اللون بكمين طويلين وياقة عالية، لقد تعلمت درساً في وقاية ذراعيها وكتفيها. حضرت

قليلاً من القهوة، وحمصت قطعة من الخبز الاسمر، وضعت عليها مربى الذي عثرت عليه في الثلاجة.

خرجت سارة، في الهواء الطلق المنعش، الى غرفة المكتب. لم تشاهد احداً عندما وصلت، وجلست الى طاولة المكتب امام الآلة الكاتبة. تفحصت سارة الآلة لتتعرف عليها وبعد قليل شعرت بالثقة لاستعمالها. ركزت اهتمامها على الفواتير المبعثرة على الطاولة وحين انتهت من ترتيبها حسب الحروف الابجدية، رأت ظلاً في باب المكتب المفتوح، ودخل دايفيد، بعد لحظة، متمهلاً واتجه نحوها. قال دايفيد مستفهماً:«سارة!»

«لا تتعجب. لقد قلت لك اني سآتي اليوم.»

وقع نظره على الفواتير الموضوعة بترتيب وقال:«يبدو انك لم تضيعي وقتك.»

شعرت سارة بسرور غير عادي وهي تلاحظ تعبير الرضى والدهشة في نبرته.

ثم اضاف:«ولهذا نستطيع، كبداية، ان نرسل هذه المجموعة بالبريد فوراً.» وانحنى مقترباً منها حتى احست برائحة العطر الرجالي تنبعث منه:«من الافضل ان تتأكدي من بعض الفواتير التي جرت تصفيتها في الاسبوع الاخير.»

«سأفعل ذلك.» وحين نظرت إليه احست بأنها وقعت ثانية تحت التأثير الكلي لعينيه الملينتين بعاطفة لم تستطع تفسيرها..

قال دايفيد:«تعالي معي الى المخزن. سوف اشرح لك وسائل البيع المشبعة هناك.»

قاد دايفيد سارة الى غرفة المخزن الصغيرة حيث رأت

الجدران مغطاة بالرفوف المليئة بقوارير الشراب المختلفة.

«ان عملية البيع هنا، ليست معقدة، فالأسعار لا تختلف من صنف إلى آخر باستثناء شراب فاكهة الكيوي. انا اشتري الكيوي من مزرعة الجيران، عندما لا تكون بالجودة والحجم المطلوبين للتصدير الى اسواق العالم.» تابع دايفيد كلامه:«باستثناء قوارير شراب الكيوي، الغريبة الشكل فإن الصنف الوحيد والمهم هنا هو شراب صن فالي.»

نظرت إليه بسخرية:«انا اعرف. للحصول على النجاح في الشراب... يجب التركيز على صنف واحد فقط، هذا ما اخبرتني به.»

نظر إليها دايفيد بإعجاب وقال:«انت تتعلمين بسرعة.»

لم تستطع سارة ان تميز ما إذا كان يسخر منها أم لا، وقالت:«استطيع ان اقترح شيئاً يحسن المبيعات، اعني...» تجاهلت سارة نظرة الاستخفاف والتهكم التي رماها بها وأكملت وهي تشير بيدها الى النوافذ الصغيرة العالية:«... انظر الى كل هذه القذارة. هذه النوافذ تحتاج الى تنظيف جيد، وبلاط الأرض يحتاج ايضاً الى مسح وتلميع.» ثم اضافت بشيء من الانفعال:«لو كان هذا المكان ملكي...» وتوقفت عن الكلام فجأة، وقد ارتاعت لهول ما كادت تتفوه به. ولدهشتها لم يبد على دايفيد انه تأثر بالتغير المفاجيء في نبرة صوتها.

«سأطلب من كيت ان تنظف المكان.»

قدحت عيناها قائلة:«هل انت متأكد انها ستفعل ذلك؟»

القى صوت نسائي التحية «صباح الخير.» ورأت سارة

كيف تدخل المخزن. وقع نظر كيت الماكر عليها وقالت:«كيف تشعرين الآن يا سارة؟ لم اكن اتوقع رؤيتك اليوم في المكتب؟»

«انا بخير الآن، شكراً لك.» من كان يصدق، تأملت سارة، ان هذه المرأة الصغيرة، ذات المزاج السيء، التي كانت اول من قابلها عندما وصلت الى صن فالي، ستكون عطوفة وحنونة على هذه الصورة؟ لقد سهرت عليها ليلة أمس لتساعدها في التغلب على الحمى التي اعترتها. أفاقت سارة من تأملها وقالت بصوت مرتفع:«هذا ما يجب ان اكون عليه بفضل رعايتك الجيدة لي طوال الليل، والمرهم الطبي الذي مسحت جلدي به وخفف الكثير من الام الحروق.»

تساءلت كيت في دهشة:«أنا؟ لم أكن أنا...» بينما سارة دايفيد بذهول وتلاقت نظرتها مع نظرته الساخرة وتمنت لو لم تنظر إليه. عادت بأفكارها الى كلام كيت السريع:«لا تشكريني على ذلك، فقد كنت اعاني من ألم في الرأس ليلة أمس، بل اشكري دايفيد الذي سارع لمساعدتك وبقي الى جانبك طوال الليل. وأعطاك الاسبرين، كل ساعتين لتخفيض درجة حرارتك، كل ما فعلته هو جلب الادوية والشراشف النظيفة من خزانة المفروشات، عدة مرات خلال الليل.»

أوه، لا. شعرت سارة بإعياء. قاتل عندما ادركت ان دايفيد هو الذي وضع المرهم على جسدها المحترق. قدحت عيناها شرراً وهي تحدق به، وكما توقعت، بدا دايفيد كأنه يستمتع باضطرابها. هذا الوقح! وغمرها

شعور من الغضب الشديد وعضت على شفتها السفلى، وصممت على ان لا تدعه يستمتع بشدة غضبها منه.

لم تلاحظ ان شيئاً يجري بينهما وتابعت حديثها مع سارة بانشراح:«من حسن الحظ أننا نحظى بهذا الطقس! عدة ايام مثل اليوم ونستطيع ان ننتهي من قطاف الموسم ويمكن التكهن ان هذه الايام المشمسة ستستمر الى ابعد من ذلك.»

قال دايفيد:«في المناسبة لقد تسلمت سارة مهام المكتب ومخزن الشراب.» ثم استدار نحو سارة:«اريد منك ان ترسلي دعوات المهرجان وان تتصلي بصحف المدينة وتعلميها بتاريخ يوم مهرجان الشراب الذي يقع في نهاية الاسبوع. اتصلي ايضا بمتعهدي الحفلات الذين تعاقدنا معهم السنة الماضية. حاولي الاتصال هاتفيا بمن أمكن من المدعوين. وفي حال لم تستطيعي الاتصال هاتفياً، ارسلي إليهم الدعوة بالبريد. لقد رتبت شؤون الحفلة، دارين سيقوم بالغناء. لقد تعاقدت معه في مهرجان العام الفائت، سأتصل به وأخبره رغبتي بالتعاقد معه لمهرجان هذه السنة وأؤكد على مجيئه وان يجلب غيتارا معه. انه شخص، من الصعب الاتصال به.»

اخبرت كيت سارة:«لقد عمل معنا لفترة من الوقت.»

قال دايفيد بلهجة جافة:«عندما كان يلائمه ذلك. ستجدين قائمة بأسماء المدعوين الى يوم المهرجان في درج طاولة المكتب، وسأراجعها معك فيما بعد، يا سارة.»

قالت كيت متأملة بعد ان ترك دايفيد المخزن:«لا احد يستطيع منع نفسه من الإعجاب بدارين، له اسلوب

خاص، وغناؤه يدخل القلوب ويأسرها. ولكن مشكلته، هي عدم إمكان الاعتماد عليه. يشتغل فترة من الزمن في مكان ثم ينتقل فجأة الى مكان آخر. سوف تستمتعين بيوم المهرجان. يأتي الناس فيه من انحاء البلاد كافة، كل سنة، انه يوم للفرح.»

فيما بعد طلبت سارة هاتفياً، اسم موجود على قائمة المدعوين وسمعت صوتا مرحا يجيبها.

«مرحبا، انا لاري ماتيو.»

قالت سارة بصوت واضح:«مرحباً انا اتصل بك من كروم صن فالي. وأريد ان اعلمك ان يوم انعقاد مهرجان الشراب السنوي هو الثامن عشر من هذا الشهر. طلب دايفيد مني ان اخبرك انه يتوقع قدومك لحضور المهرجان. هل ستحضر؟»

اجابها الصوت باهتمام:«وهل ستحضرين انت؟»

«بالطبع. انا اعمل هنا.»

رنت ضحكته عبر الهاتف:«هل قدمت من انكلترا مؤخراً؟ لقد عرفت ذلك من صوتك. لا تقلقي، سأكون عندكم يوم المهرجان، لكي اتشرف بمعرفتك فقط. ماذا قلت، اسمك؟»

«لم اذكر اسمي بعد. اسمي سارة.»

«اسم جميل انه يعجبني، حتى ولو كنت بنصف جمال صوتك....»

«مع السلامة يا لاري.»

عملت سارة خلال الصباح على الاتصال بمعظم المدعوين الموجودة اسماؤهم على القائمة. وبينما كانت تتصل بأحد المدعوين، لمحت فتاة مبتسمة ذات

شعر قصير تقف عند باب المخزن وتنظر اليها. وكان من الواضح انها حامل.

قالت الفتاة وهي تدخل المخزن:«مرحباً. اعتقد، انك سارة الفتاة الانكليزية؟»

اجابتها سارة:«اجل انا. لقد حصلت على العمل هنا منذ البارحة.»

«اعرف، لقد سمعت كل شيء، اسمي باتي، وزوجي يدعى بيل، نحن جيرانكم، ونملك بستان فاكهة الكيوي، ألا تعرفين؟» تابعت باتي وهي تلاحظ وجه سارة المحترق:«لقد حصلت على حروق من أشعة الشمس المحرقة بالأمس! هل كنت تعملين بين العرائش وتقطفين العنب؟»

اومأت سارة برأسها ايجابا.

قالت باتي وهي غير مصدقة ان دايفيد لم يحذرها:«ألم يحذرك دايفيد من مغبة التعرض لأشعة الشمس المحرقة في هذا الجزء من العالم؟»

«للحقيقة...» شعرت سارة بالاعياء من جراء الحديث في هذا الموضوع الذي أصبح له نغمة مألوفة وحاولت تفادي نظرات باتي الفضولية.

اجابت باتي ضاحكة:«لعل دايفيد كان مضجراً، أليس كذلك؟ هل كان يوزع نصائحه المجانية؟ استطيع تصور ذلك. انه هكذا في بعض الاحيان، ولكنه شخص رائع ولن تجدي شخصاً افضل منه كمدير عمل. هل ستبقين معنا طويلا؟» وقبل ان تتمكن سارة من الجواب، اضافت باتي:«انها عطلة عمل، أهذا كل ما في الأمر؟»

«سأبقى فترة الصيف فقط.» وقالت في سرها، إذا كنت

في هذا البلد، وهو ما يشبه وضعك الآن.» رفع دايفيد حاجبيه ببراءة خادعة وأضاف:«ألم تذكري انك تنشدين الاغاني الفولكلورية والاهازيج وكل هذه الانواع؟»

«نعم، لقد ذكرت ذلك ولكن...»

استمر في كلامه غير مبال بمحاولتها الاعتراض:«لقد فرض ستيفن إنشاد هذهً الاغنية كل سنة في يوم مهرجان الشراب احتفالا بانتهاء موسم القطاف. وقد اصبحت تقليداً متبعاً.» أضاف بصوت عميق:«وخاصة في هذه السنة، لأنه سيكون آخر مهرجان أحضره في صن فالي!» خيم الصمت بينهما بعد هذه الكلمات فلم تتجرأ سارة على الاسترسال في التفكير بهذا النمط.

«حسنا، لقد اهتممنا بكل شيء تقريبا.» شعرت سارة ببوادر التمرد على تصرفاته المترفعة وعلى نبرة افعلي ما أقول التي كانت أقرب الى الأمر المباشر منها الى طلب.

«لا.» لمعت عيناها الخضراوان تحدياً. لماذا يجب عليها ان تنشد اغنيته الغريبة غير المألوفة، فقط لأنه طلب منها ذلك، لا بل أمرها بذلك؟ قالت بحزم:«عليك ان تجد شخصا آخر كي ينشد هذه الاغنية.»

«هذا جزء من اتفاقنا، أم هل نسيت؟»

«أوه، انا اتذكر وعدي لك بالغناء وعزف الغيتار. ولكن فقط الاغاني المألوفة لي او الاغاني الميلودية التي كتبتها بنفسي.» رمقته بنظرة من انتصر في معركة. «هل تذكر ذلك؟» لكن تجهم وجهه لم يترك عندها انطباعا بأنها سجلت نقطة عليه.

«اما ان يكون الأمر، ان انشد اغنية كتبت بلغة اجنبية، حتى ولو ترجمت، وأن اعزف لحنا لم اسمعه قط من قبل» اطلقت سارة العنان لمشاعرها ولم تستطع التوقف:«... فقط لأنك...» بدأ صوتها بالتعثر وأسرعت بالمتابعة:«... تريد مني ذلك! حسنا، اني ارفض ذلك. سأقوم بالغناء، كما وعدت ولكني لن أغني غير الاغاني التي اعرفها.»

«احقا ما تقولين.» كان الغضب ينضح من تعابير صوته. «لو لم تكوني على قائمة المرضى...»

تابعت سارة التحدي:«ماذا كنت ستفعل، تجبرني على قبول منطقك؟ تطردني من البيت؟» يا للهول، ماذا يحدث لها لو فعل ذلك؟ فكرت سارة باستياء في نفسها.

ولكن بدلا من طردها قال دايفيد لها بنعومة قاتلة:«احتفظي بالنوتة الموسيقية.» وبهدوء دس ورقة النوتة في جيب بنطالها. «ستغيرين رأيك في هذه الاغنية عندما تتحسن حالتك النفسية.»

«لن اغير رأيي، انت تعرف ذلك.» ولكن لماذا تجد نفسها ترتجف؟

أدار لها ظهره وخرج من دون ان ينبس بكلمة اخرى. وفجأة شعرت بالوحشة والوحدة والفراغ القاتل تخيم على الغرفة. ابعدت بسرعة هذا الشعور عنها. لقد سئمت بما فيه الكفاية، ترفع هذا الرجل الذي لا يأبه لشيء، من دون ان تضيع وقتا، هرعت للخروج من المخزن وأغلقت الباب وراءها بشدة.

الفصل الخامس

عادت سارة، في صباح اليوم التالي، الى المكتب لتجد رزمة صحف وضعت على طاولتها الى جانب البريد المتراكم، وفي اللحظة التي ألقت فيها نظرها على البريد، شردت افكارها وقالت في نفسها، من الآن وصاعداً سوف تتصرف كأي فتاة تعمل بصورة اعتيادية في بلد اجنبي.

لقد نجحت خطتها، تقريباً، حتى الآن، لولا تأثير دايفيد المريك والغريب عليها. لا بد ان السبب هو رجولته وجاذبيته اللتان تشعان على ما حوله، لماذا تشعر، عندما تتواجد معه في غرفة واحدة، ان جاذبيته تخترق اعماقها بجنون.

راقبت سارة دايفيد، وقد رأته قادماً من ناحية وادي العرائش، بجسمه المتناسق المفتول العضلات، يسير بخطوات متمهلة على المنحدر العشبي، بدت عليه السعادة والنشاط، عندما اقترب من المكتب وهو يدندن لحناً. سرت سارة من نفسها، إذا كان سبب سعادته الظاهرة هو اعتقاده انها غيرت رأيها في شأن إنشاد اغنيته العزيزة من الفولكلور اليوغسلافي. فسرعان ما يصاب بالخيبة بمجرد ان يتكلم معها.

اجابت سارة بطفولية:«ان جلدي يتقشر.»

تقدم دايفيد الى داخل الغرفة وهو يحدق بها، متفحصاً اولاً، حالة ذراعيها ثم حالة رقبتها ووجهها المحروق.

«لن تطول هذه المرحلة، وبعد فترة قصيرة. لن تصدقي انك نجوت من تأثير اشعة الشمس.»

وافقت سارة على كلامه:«اجل، ان اصدق. خاصة وإنني لم اكتسب السمرة التي كنت اسعى إليها، ولا حتى لون فاكهة الكيوي، كي اعوض نفسياً عما اصابني.»

«يجب ان تبعدي ذهنك عن فكرة اكتساب اللون البرونزي.» تقلصت عضلات سارة عندما سمعت نبرته الآمرة:«لأن بشرتك التي بلون الخوخ الاصفر والكريمة لا تتحمل ذلك.» شعرت ان حركاتها اصبحت مرتبكة تحت تأثير نظراته... لماذا لا يتوقف عن النظر إليها!

انحنى دايفيد على طاولة المكتب واعتلى، جالساً على إحدى زواياها وقال لها:«اريدك ان تعملي في عطلة نهاية الاسبوع.»

«لا بأس ولا مانع عندي إذا كان العمل يتضمن تدقيق دفاتر المحاسبة. لقد صرفت وقتاً طويلاً في تصفية حسابات الضرائب لأنها جديدة عليّ، سوف اتعود عليها سريعاً. العمل في عطلة الاسبوع لا يضرني ولا يختلف عن العمل ايام الاسبوع الاخرى.»

ضحك دايفيد وقال:«لكن هذا العمل مختلف. لقد تلقيت اتصالاً هاتفياً من دارين، الفنان الذي تعاقدنا معه في السابق، وقد اعتذر مني كثيراً لعدم استطاعته الغناء في المهرجان، وقلت له، بأن يهتم بصحته في الوقت الحاضر، وبأني سوف اتعاقد مع فنان آخر كي يحيي هذه الحفلة، ولا توجد اي مشكلة.»

«قلت له ذلك.» هزت سارة رأسها، لأنها مازالت مستاءة

من الطريقة الجافة التي طلب بها منها ان تنشد اغنية لا تعرفها. وتذكرت كيف رفضت ذلك في غضب شديد. «انا غير متأكدة ما إذا كنت راغبة...»

لم يبد على دايفيد اي انفعال. «لقد اتفقنا على كل شيء عندما طلبت عملا هنا.» ذكرها ببرودة «والفكرة اعجبتك كثيرا في حينها. عندما افهمتك انه يكون هناك مناسبات كهذا المهرجان...»

«احتاج وقتا اطول كي اتمرن على الاغاني.» اجابته سارة وهي تصر على اسنانها «هذا، إذا كنت سأغني امام جمهور.»

لوح دايفيد بيده وكأنه ينثر هذا الاعتراض في الهواء. «الجمهور الذي يحضر المهرجان لا ينتقد شيئا، انها حفلة مجانية، وذلك يتضمن الأكل والشرب، ولا افهم سببا لقلقك؟»

«لا، لن تفهم. على اي حال... اين الغيتار. فكما اخبرتك، لم اجلب غيتارا معي.»

ضحك دايفيد بتهكم كاد ان يصيبها بالجنون. ثم قال: «لقد اهتميت بالأمر. تحتفظ إحدى قريبات كيت بغيتار في المنزل الكبير، كي تعزف عليه عندما تأتي الى هنا لتمضية عطلاتها.» اضاف بلا مبالاة «وسنجد هذا الغيتار في إحدى الغرف، عندما نبحث عنه.»

رمقته باستياء، إذا كان يعتقد انها ستعزف للجمهور على غيتار قديم مهمل وملقى في إحدى زوايا المنزل، فهو يحلم...

قطع صوته افكارها المتمردة: «لا تنظري إلي بهذا

الشكل. انها آلة موسيقية جيدة وقد دوزنت أوتارها مؤخرا، ستعجبك.»

رمقته بنظرة حادة، إنه الاسوأ بين جميع الرجال الانانيين الذين قابلتهم في حياتها! قالت بصوت مرتفع حاولت ان تجعل نبرته هادئة: «سأرى ما إذا كنت استطيع العزف عليه، وإلا...» هزت كتفيها. «... ننسى هذا الموضوع.»

لم يؤثر هذا التهديد في دايفيد، وتمتم بكل بساطة: «سوف تألفين هذا هذا الغيتار.» يا للهول ان دايفيد رجلا عنيد. فكرت سارة..

وقف دايفيد وقال: «اسمعي، يجب ان اذهب الآن، سوف اعود بعد دقيقة.»

نظرت سارة إليه بصمت، ونظرة الغضب في عينيها الخضراوين تقول بوضوح، وكأن ذلك يهمني.

عاد دايفيد بعد قليل، يمشي متمهلا. مرة اخرى، جذب اللحن الغريب الذي يدندنه، انتباهها. تعمدت سارة الانشغال بترتيب البريد، متجاهلة قدومه، وحتى انها لم ترفع رأسها الى ان إصبح واقفا الى جانبها.

«لقد جلبت لك غرضا معي.» تلاقى نظرها مع النظرة العابثة الصادرة من عينيه الداكنتين اللتين لا تثق بهما على الاطلاق. «انظري الى هذا الشيء.»

احست سارة ان اعصابها المشدودة قد استرخت دفعة واحدة، سألته: «ما هو هذا الشيء؟»

«هذا!» وضع غيتارا على المكتب امامها. «انه لك، اعزفي عليه ما دمت هنا معنا.»

تفحصت سارة بعد تردد دايفيد بحذر: «ولكني لن

اعزف إلا الالحان التي اريدها؟ الالحان المألوفة مني؟»
عاد الى نبرته المسترخية:«بالطبع. ماذا تظنين؟»
التقطت سارة الغيتار من على الطاولة، ولعبت بالأوتار:«هذا الغيتار ثمين جداً، لقد صنع في جنوبي المكسيك. لم تسنح لي الفرصة من قبل بالعزف على غيتار بهذه الجودة.»
لم تبد على دايفيد الدهشة قال:«لا تشتري ايلين الا الافضل، انها معلمة الموسيقى في جامعة اوكلاند.»
«ألا تمانع في استخدامه؟»
«ولماذا تمانع، كما قلت لك، هذا الغيتار هو لك ما دمت معنا.»
انحنت سارة على الغيتار وضبطت أوتاره:«انت تجازف بالاعتماد علي، اليس كذلك؟ كيف لك ان تعرف اني لن افشل وأخيب أملك؟ وأفسد عليك يوم المهرجان الكبير؟»
«لا تقلقي، لن يكون الجمهور في مزاج انتقادي، خاصة في آخر النهار.»
ردت بنبرة شرسة:«حقاً؟» ثم اضافت:«إذاً، هم لا يستحقون ان اعزف وأغني لهم.» ووضعت الغيتار جانباً.
ذكرها دايفيد ببرودة:«انه جزء من اتفاقنا. ولا ازال أذكر قولك لي...»
اضافت سارة بشموخ:«حسناً، حسناً.» أوه، لقد ازعجها كثيراً، واستطاعت بجهد منع الكلمات الغاضبة التي كادت ان تخرج من بين شفتيها. ثم تابعت:«لن يكون عندي الوقت الكافي كي اتمرن على أي اغنية خاصة.»

«اعزفي فقط ما تشائين، سأترك الخيار لك.»
شدت على شفتيها الرقيقتين غضباً، لاستهانته ببراعتها ومقدرتها على العزف والغناء. سوف تبرهن له انها تستحق كل قرش سوف يدفعه اجراً لها.
قال دايفيد:«حسناً، هذا ينهي كل نقاش.»
«هذا إذا قررت ان اقوم بذلك نهائياً.»
تابعت الاصغاء الى نبرة صوته الموسيقية:«اخبريني عما عندك من ملابس؟ فستان طويل؟ زي يعطي الانطباع عن الحياة المنزلية السعيدة؟ لقد وقفت أمام الجمهور في السابق. وأعني انك أدرى بما سوف ترتدين.»
اجابته:«أوه، انا أعرف اي نوع من الملابس، تعتبره ملائماً.» وقد اعتراها السرور لأنها لا تستطيع تلبية طلبه في هذا الأمر، على الرغم من تدخله في شأن ملابسها الخاصة. «لم احضر معي الكثير من الملابس... والذي احضرته معي هو ملابس عمل، سراويل جينز، قمصاناً رياضية وسراويل قصيرة... وما شابه.»
اجاب دايفيد باستخفاف على ما ذكرت من ملابس:«لا جدوى من هذه الملابس. ما افكر فيه هو زي مختلف تماماً، وهذا لا يعني ان ملابسك رديئة، يوجد هنا، في مكان ما في الكوخ، زي تقليدي، ربما لا يزال معلقاً في الخزانة، جلبته صديقة دارين معها عندما رافقته الى هنا وصاحبته في العزف على الغيتار في مهرجان السنة الفائتة. هيا جربيه، اعتقد انه بقياس جسمك.»
«لا، شكراً.» تنهدت بعمق وجهدت كي تسيطر على اعصابها. رقت فجأة، تعابير وجهه وقال:«صدقيني، ستبدين

اكثر جاذبية، في هذا الفستان، مما بدت فيه صديقة دارين.»

إنه يطري على جمالها! دايفيد من دون سائر الرجال! هذا لا يصدق. حلت الدهشة، مكان الغضب وبان على خديها اللون الزهري. «هل تعتقد حقاً؟ اني سأرتدي ملابس فتاة اخرى مستعملة، لهذا التجمع المنتظر؟»

قال دايفيد: «اننا نطلق على هذا التجمع اسم، مهرجان القطاف.»

احست سارة، بطريقة ما، انه من الاسهل ان تبتلع تحديها له وان تستسلم لمناوراته، حين تفادت تأثير نظراته الخارقة: «تطلب مني كل هذا، كي أرضيك؟»

اتى صوته هادئا يوحي، بالخطر: «لا لا.»

لاحظت سارة ان شفتي دايفيد مطبقتان على بعضهما والغضب يلوح في عينيه على الرغم من انه كان مسيطراً على هدوء اعصابه. انها تستطيع الآن ان تدرك مشاعره من الطريقة التي يتلفظ بها الكلام. ومن الواضح ان هذا الرئيس لم يتعود عدم تلبية مطالبه، او الاستخفاف بها، حسنا، لقد آن الأوان كي يتعلم، كيف سيكون مخزن هذا الكرم، كل عامله الخاص والصغير، ولو ان الكرم لم يصبح ملكها رسمياً حتى الآن.

«افهم من ذلك...» لم تخفِ نبرة صوته الخافتة والمتعثرة غضبه المكبوت: «ان لا نية عندك، البتة، لتغيير قرارك؟»

«ابداً. لا نية عندي في انشاد اغنيات الفولكلورية، حتى لو كنت اعرفها.»

«باستطاعتك الاستماع الى هذه الاغنية قريباً.»

«لا تزعج نفسك.» تنفست سارة بعمق وأعدت نفسها للصراع: «سأعزف وأنشد بضع اغنيات اعرفها... اغنيات من الفولكلور الانكليزي، وأغاني حديثة شعبية يعرفها الجميع ويستطيعون المشاركة في غنائها، إذا ارادوا.» ولكن لن ارتدي ابدا في نهاية هذا المهرجان زيا وطنيا.»

اضطربت سارة وهي تلاحظ اندفاع الدم الحار الى خدي دايفيد. ولكنها تابعت تحديها ورفعت ذقنها الى الاعلى، وهي حركة اصبحت تستعملها كثيراً، مؤخرا ولن تسمح لنفسها بالانهيار امام قوة نظراته الحارقة التي واجهتها. قالت: «لا اعرف لماذا تهتم الى هذه الدرجة بهذه الاغنية.» ثم تابعت بصوت رقيق لا مبال: «ما اعنيه هو انك لست مهاجراً اوروبيا من الجيل الأول، وانت ما تكاد تستطيع ان تدعي الانتماء الى بلد في الجانب الآخر من العالم، ولا أرى سببا لكل هذه الضجة...»

«ألا ترين؟ دعيني اخبرك.» اقترب منها في خطوة مفاجئة وأمسك بها من كتفيها بقبضة فولاذية وهزها بعنف: «هذه الاغنية هي من التقاليد المهمة هنا، الا تفهمين؟»

حاولت سارة عبثا التخلص من قبضته: «ما افهمه الآن، هو انك تؤلمني، ابعد يديك عني.»

«لقد كنت أمل ان تكوني اكثر منطقية...»

«انس ذلك. دعني اخبرك امرا، عندما يأتي اليوم الذي سوف ارتدي فيه زيا وطنيا وأنشد اغنية كتبها احد النيوزيلنديين عن حفاري الصمغ في الايام الاوائل، ستعرف اني غيرت رأيي، وهذا... اعتراها شعور

سعيدة الحظ. «اريد ان اكتسب الخبرة في هذه المهنة وأتعلم كل ما يمكنني عن زراعة العرائش، صناعة الشراب والتعبئة... كل شيء.»

«يبدو لي انك واثقة من نفسك، هل تخططين لامتهان هذه الصناعة؟»

«لا، لا.» وقالت في نفسها ان عليها ان تحترس من زلات اللسان. ولم يكن هناك من داع لتحذير نفسها، لأن باتي نسيت الموضوع في دقيقة.

بينما كانت تدفع بشعرها الناعم المنسدل الى خلف أذنيها وتقول: «أوه، لقد نسيت تقريبا ما جئت من اجله. اريد زجاجة من عصير دايفيد المشهور، لقد دعونا بعض الاصدقاء على العشاء هذا المساء. هم يفضلون هذا على غيره. هل تعرفين ان دايفيد قد ربح الجائزة القومية لأفضل انتاج من الشراب المعتاز، وهذا أمر رائع بالنسبة لكرم صغير مثل هذا. الا تعتقدين ذلك؟»

لم تستطع سارة الإجابة، لأن الاعياء قد أصابها بسبب ترداد مثل هذا الكلام على مسامعها، عن قدرة دايفيد وأخلاصه وتفانيه في العمل، وعن شرابه المشهور. ولكنها تمتمت بعد ثوان: «سأجلب لك زجاجة.» ومشت نحو احد الرفوف لتتناول منه إحدى الزجاجات.

دفعت باتي ثمن زجاجة الشراب وكانت على وشك الذهاب عندما توقفت وقالت وهي تدير ظهرها: «سارة هل سمعت قصة صن فالي؟» ومن دون ان تنتظر جوابا استطردت: «من العدل ان يكون الكرم ملكا لدايفيد، عوضا عن ان يكون المدير فقط، وعلى اساس موقت

فقط! وكان سيصبح المالك فعلاً لو عدل ستيفن وصيته، فهو كان يتكلم دائما عن دايفيد على اساس انه وارث الكرم، ولكن الوقت لم يتسن له كي يعدل وصيته، هل تصدقين، ان كل شيء هنا سترثه فتاة ما من انكلترا، كان ستيفن قد قابلها عدة مرات منذ سنوات طويلة؟»

لم تجد سارة كلاما ترد به، ولحسن الحظ لم تنتبه باتي الى صمتها. «اسوأ ما في الامر هو ان دايفيد متعلق جدا بهذا المكان وهو بالنسبة إليه، ليس بيته ومكان عمله فقط، انه محور حياته كلها، وهو لا يفكر الا بالكرم وخاصة بعد ما جرى بينه وبين لين...»

سألت سارة: «لين...»

«الفتاة التي كانت مخطوبة إليه. لقد فسخا الخطوبة في ذات اليوم الذي عرف فيه دايفيد انه لن يرث الكرم. انا شخصيا اعتقد ان ذلك من حسن حظه، انه افلت من تلك الفتاة.» اضافت باتي: «لين حصلت على لقب ملكة جمال نيوزيلندا في تلك السنة وهي جميلة الشكل. بالطبع، ولكنه جمال بارد. على ما اعتقد، دايفيد لا يزال يحبها. فمنذ ان فسخا الخطوبة منذ سنة، لم يبدُ عليه أنه اظهر اهتماما بفتاة اخرى....» نظرت الى ساعة يدها وأكملت: «... هل مضى كل هذا الوقت؟ ييل سيكون في البيت الآن، يجب ان اسرع! اراك قريبا.»

رمقتها سارة تبتعد وهي تشعر بعدم الارتياح، افكارها تتسارع متضاربة وقد غمرها الاحساس بالذنب والمرض وشعور غريب من الندم. هل يجب ان تعترف لدايفيد بالحقيقة، وتتنازل عن حقها في ملكية الكرم؟

وفيما كان النهار الطويل يجر نفسه جراً، اقتصرت سارة على القيام بمهام المكتب فقط، وكانت تقنع نفسها ان الحرارة المزعجة في المخزن هي افضل بمئات المرات من الحر القاتل والرطوبة المرتفعة بين صفوف العرائش حيث العاملات يقطفن العنب في هذا الوقت.

قال صوت رجالي عميق:«لقد حان وقت الذهاب.» نظرت سارة الى الاعلى ورأت دايفيد يقترب منها بمشيته المتمهلة القوية، انشرحت باقتراحه، على كل حال، لا ضير من إطاعة أوامر كهذه فهي لمصلحتها.

قال لها وهو يسكب عصير المانغا في كوب من الزجاج:«هل تريدين تناول بعض المرطبات.» ثم قدمه لها. احست سارة بشعور لذيذ بينما كان العصير المثلج يرطب حلقها.

سكب دايفيد كوبا من العصير وألقى بنفسه على مقعد، سائلا:«كيف كان العمل بالنسبة لقائمة المدعوين؟»

«انها جاهزة للارسال بالبريد.» اجابته وقد ادهشها كيف اختلف إحساسها وكأن هواء حيويته قد لفحها وأعطاها جرعة كبيرة من القوة.

«عظيم.» وضع دايفيد كوب العصير على الطاولة. «لقد اتصلت بدارين وتكلمت معه، لقد وقع له حادث تصادم مع شاحنة تحطمت سيارته ثانية، قال لي انه لم يصب بأذى يذكر، ولكنه ترك المستشفى لتوه وربما لا يستطيع المشاركة في مهرجان هذه السنة ثم اتصلت بعدد من الفنانين الآخرين كي يحلوا مكانه ولكني لم أوفق، لسوء الحظ، مع أحد، ولذا...» ظهرت على محياه ابتسامة

تأسر الألباب جعلت عواطفها تدور في نفسها برغم تصرفاته المزعجة وجهدت كي تركز على ما يقول:«... من هنا يبدأ دورك وتظهرين في الصورة.»

سألت وهي تحاول ان تستجمع افكارها:«أنا، هل تعني انك ستحتاج إلي في يوم المهرجان كي استقبل الزائرين وأغني لهم؟»

«من المحتمل. إذا لم يتمكن دارين من الحضور، هل من الممكن ان تأخذي مكانه وتغني للزائرين؟ كل ما اطلب منك ان تغني بضع اغنيات، واحدة منها اغنية خاصة، من النوع الفلكلوري.» وأضاف«لا اعتقد انه امر يصعب عليك أداؤه؟»

قالت سارة باحتراس:«لقد وعدت ان اغني وأعزف الغيتار في المناسبات. هل هذا هو كل المطلوب مني؟»

«المطلوب منك، يا سارة؟» لاحظت لبرهة الشرر في عينيه الذي خمد على الفور. «اغنية واحدة فقط في الوقت الحاضر.» وقبل ان تتمكن من التعليق، اكمل دايفيد حديثه:«لقد جلبت لك النوتة الموسيقية كي تتدربي عليها وتؤلفي اللحن، وأعتقد انك ستعشقين هذا اللحن بمجرد ان تجربي غناءه.»

اخذت بتردد النوتة الموسيقية من يده وتفحصتها وقالت باندهاش:«ان كلمات الاغنية مكتوبة بلغة اخرى.»

«لقد كتبت الترجمة الإنكليزية تحت اسطر اللغة الاجنبية.» رمقته باستغراب:«هل هذه الاغنية يوغسلافية؟»

«شي» من هذا القبيل، انها عن الايام الصعبة التي عانى منها المستوطنون الاوربيون الأوائل عندما استقروا

بالنصر. «بأن اقرر...بأن اقرر...» وحاولت بجنون ان تعثر على اسوأ احتمال يمكن ان تحلم به.«... البقاء معك هنا في صن فالي... الى الابد.»

معك... الى الابد؟ ما هذا الذي قالته! يا لسوء تصرفها! كان من الافضل ان تركل نفسها ولا تنطق بهذا التعبير. وأدركت سارة من خلال الابتسامة الساخرة التي بانت على شفتيه، ان مغزى كلماتها الاخيرة، لم يفته.

قال دايفيد ببرودة:«طالما انا اعرف ذلك.»

نظرت اليه بارتياب، ولكن نظرته الجامدة لم تنم عن شيء ورغبت في هذه اللحظة برمي الغيتار في وجهه المتهكم.

قال دايفيد وقد تغير مزاجه فجأة:«اسمعي. يجب ان اذهب الى المدينة غدا من اجل تسويق بعض المنتجات. لما لا تذهبين معي؟ وهناك ندخل الى على احد الحوانيت، وتنتقين لك فستانا ترتدينه.» وانحنى بالقرب من وجهها، مما جعلها تشيح بنظرها عن نظرته الحارقة.

«اجل، سوف اذهب برفقتك، ولكن انا من سينتقي الفستان وسوف ادفع ثمنه من مالي الخاص، وإلا لن اقبله ابدا.» ان تصبح مدينة له امر لا تطيق حتى التفكير به. «وأنا اعني ما اقول.»

اشعلت النظرة المتهكمة في عينيه، غضبها اكثر من اي وقت مضى:«اتفقنا إذا. سأمر عليك في الثامنة صباحا، هل ستكونين جاهزة؟»

قالت:«اجل، على ما اعتقد.» بعد خروج دايفيد، ادركت في اي موقف قد وضعت نفسها، رحلة الذهاب والإياب

الى اوكلاند، ستأخذ معظم وقت النهار، وستكون بمفردها مع دايفيد. ولأن من طبيعتها ان تكون صريحة ومنفتحة، فهي بحاجة للانتباه الى كل كلمة ستقولها. فزلة لسان واحدة كفيلة بأن تفضح هويتها الحقيقية. ولم تستغرب سارة، ان تضعها فكرة التواجد معه في حالة من التوتر النفسي، لم تمر به من قبل.

استيقظت سارة في اليوم التالي باكرا، وانتظرت أمام الكوخ الامامية، وسرعان ما رأت دايفيد وهو يضغط على مكابح سيارة اللاند روفر ويوقفها امام الكوخ.

راقبته وهو يسير نحوها فوق العشب، وأسرت في نفسها، ان الرجل رائع بالفعل، ومن الصعوبة على اي كان تفادي تألق قوة شخصيته ورجولته.

حياها دايفيد«صباح الخير. تبدين الآن وكأنك على استعداد لغزو العالم.» قال وهو يلقي نظرة الاعجاب على الفتاة ذات الشعر الداكن، التي ارتدت فستانا بسيطا بلا كمين من قماش ناعم، باللون الوردي الفاتح، وتلمع عيناها بالمشاعر الباطنية.

قالت بخجل فيما كانت تدفع عنها افكاراً محرجة:«اعتقد ان جو العطلة هو الذي يجعلني ابدو هكذا.»

تساءل دايفيد وهو يضحك:«العطلة!»

«اعني عطلة العمل.» عدلت سارة جملتها وهي تبتسم. قالت في نفسها. انها تشعر ان في استطاعتها ان تبتسم، اليوم، في وجه دايفيد، ويبدو ان سبب انشراحها هو هذا الصباح المشمس والرائع.

ترجل دايفيد من السيارة، وفتح لسارة الباب كي تأخذ

مقعدها، ثم اغلق الباب بشدة، ودار حول السيارة ليجلس بمقعده. انطلقت بهما السيارة على الطريق المحاط بالأدغال، وكانت اغصان الاشجار المنخفضة ترتطم بالسطح من حين الى آخر، ثم مرا، في نهاية المنحدر، فوق جسر وعر يعلو جدولا. ومن هناك اتجها الى الطريق الرئيسي، الذي احاطت بجانبيه غابات كثيفة من الاشجار المختلفة التي رمت بظلالها عليه.

دهشت سارة، وهي جالسة في مقعد اللاندروفر المرتفع، لاحساسها بأن ركوب هذه السيارة هو اكثر متعة وإثارة من ركوب الحافلة الفخمة التي اقلتها الى صن فالي وقد يكون السبب هو الارهاق الذي اعتراها من جراء رحلتها الطويلة بالطائرة، أما الآن...

قال دايفيد: «انت لا تتكلمين عن نفسك كثيرا، وتحتفظين بهذه الامور في داخلك، اليس كذلك؟» هزت كلمات دايفيد، سارة وأخرجتها من مزاجها الحالم.

دقت اجراس الخطر، في رأسها قالت: «ماذا تعني بذلك؟»

«اعني، انت لا تتكلمين عن عائلتك وأصدقائك وكل هذه الامور. انت لا تتحدثين عن ذلك، ابدا.»

هل هو يرتاب بهويتها الحقيقية؟ جهدت سارة كي تأتي بنبرة صوتها لا مبالية.

«هذا، لأنه ليس عندي احد اتكلم عنه... ما اعني، هو ليس عندي اقرباء. اني اقيم مع عمتي.» اضافت سارة وحبست انفاسها بانتظار اسئلة اخرى.

ولكنها وجدت، بعد دقائق، انه لا يوجد اساس لمخاوفها. كل ما هنالك، ان دايفيد اظهر بعض الفضول في هذا

الامر. ثم سمعته يقول: «معظم الفتيات كن قد فضلن اختيار مكان آخر للسكن.» كان يحدق في الطريق الممتد امامه، وهو يتابع:

«يبدو انك سعيدة وقانعة بالإقامة عند عمتك؟»

اكدت سارة له: «اجل، انا سعيدة. لو لم اكن كذلك لما بقيت عندها.» لماذا يلقي عليها الاسئلة بشأن حياتها العائلية؟

نظر دايفيد اليها واقترح عليها بنبرته الساخرة التي تكاد ان تصيبها بالجنون: «أو... لو عثرت على شخص تريدين البقاء معه، طول الوقت.»

«لا ادري، ولكني لم اعثر بعد على مثل هذا الشخص.» اجابت بانفعال، وأدركت بعد ثوان، ان دايفيد نجح، في انتزاع معلومات عن حياتها الخاصة في انكلترا. ولم تستطع ان تفهم سبب اهتمامه وشغفه بهذا الامر.

قال دايفيد بصوت خافت جدا: «اني استشف الأمر، فقط.» تساءلت سارة عما إذا كانت قد سمعت هذه الجملة حقاً. يستشف اي أمر؟ وأحست بطعنة من الخوف تخترق اعماقها، ولكنها طرحت الشك جانبا.

اوقف دايفيد اللاند روفر في ظل الاشجار الباسقة على جانب الطريق، عندما انتصف النهار وبانت الشمس في قرص السماء الزرقاء الصافية. ورأت بالقرب من مكان توقفهما، فسحة منحدرة من الارض مغطاة بالأعشاب وفي اسفلها يجري جدول ماء صاف رقراق.

قال دايفيد: «حان وقت الغداء.» وهو يترجل من اللاند روفر ويدور حول السيارة ليساعدها في النزول.

«اقفزي، وسوف امسك بك.» رأت ابتسامته. هل من المحتمل ان يكون اللمعان الكسول الذي يظهر في اعماق عينيه الداكنتين، هو الذي يثير اعصابها ويجعلها تتعثر بخطواتها وترمي بنفسها بين ذراعيه المنتظرتين؟

لم تكن سارة مهيأة لتتحمل ردة الفعل عندما احاطت ذراعاه المفتولتان بجسمها. توك عندها شعور بقوته، تباطأ دايفيد في افلاتها، ولما فعل، كانت سارة تتنفس بسرعة وأخذ قلبها ينبض بسرعة ايضا. استرقت النظر إليه من تحت اهدابها ولم يبد عليه انه شعر بتأثير قربه عليها. لانه استدار مبتعدا الى مؤخرة اللاند روفر وجلب من داخلها سلة الطعام. ولم تعن له شيئا، اللحظة المجنونة، حين التصق بها. وسارة لم تفهم لماذا اعتراها هذا الشعور المفاجيء بالاحباط.

جلست على العشب الجاف، ولحق بها دايفيد وجلس القرفصاء الى جانبها. ثم فتح براد الثلج وأخرج منه زجاجة من عصير الفاكهة. ورأت سارة داخل سلة الطعام شطائر من البيتزا، ومخللات متنوعة و كعكة جزر مغطاة بكريما الليمون اللذيذة. وفاكهة الكيوي والدراق بحجمه الكبير ولونه الذهبي.

امسكت سارة بكوب من البلاستيك فيما سكب دايفيد العصير فيه. «ان هذا النوع من العصير، يلذ مذاقه اكثر في الاماكن الخارجية، الا توافقين؟»

ابتسمت سارة: «حتما. هل تعرف انها المرة الاولى في حياتي التي اتذوق فيها الكيوي؟ ان سعرها في انكلترا مرتفع جدا وليست في متناول الجميع.»

ضحك دايفيد: «هناك مرة اولى لكل شيء.» وشطر الى نصفين، حبة كيوي البيضاوية الشكل والخضراء اللون وناولها نصفا. تأملت سارة، وهي تلتهم الكيوي اللذيذة الطعم، في انها لم تتمتع منذ مدة طويلة بغداء كهذا.

تمتمت سارة: «انا لم استغرب إقامتك في المنزل الكبير. خاصة وان لديك طباخة رائعة مثل كيت...» توقفت فجأة عن متابعة الكلام، عندما ادركت من خلال اسوداد ملامحه، انها ارتبكت خطأ ما، ومن الواضح ان تعليقها البريء قد اثار ذكريات أليمة في نفسه، عن الفتاة التي كاد ان يتزوجها منذ سنة، ولا يزال يهيم بها. شعرت سارة بطعنة في قلبها عندما وصل تفكيرها الى حبيبته السابقة. من المؤكد انه لا يزال يحبها.

قال دايفيد باختصار: «هيا، لنتابع رحلتنا.»

نسيت سارة مزاج دايفيد المتعكر، عندما استأنفا طريقهما ولفح الهواء المنعش وجهها. بقيت صامتة وهما يقطعان الكيلو مترات على الطريق، وغرقت في احساس من الاسترخاء الممزوج بالمتعة.

شاهدت سارة من نافذة اللاندروفر، التلال المغطاة بالغابات ثم الاراضي المنبسطة حيث المزارع ومراعي الغنم وبعد ذلك مراعي الغزلان الرشيقة المحاطة بالأسلاك وأخيرا المنحدرات الخضراء حيث بساتين البرتقال وفاكهة الكيوي.

دخلت اللاندروفر، بعد ذلك، المناطق الآهلة بالسكان وشاهدت سارة القرى والبلدات الصغيرة المتناثرة هنا وهناك ثم مرا في طريق سيارات فوق المستنقعات التي

تحدثها مياه المد والجزر وحيث توجد ارصفة اليخوت وقوارب النزهة. وعند انتهاء هذه الطريق الملتوية، وجدت سارة نفسها في شارع زرع جانبا بالاشجار، ورأت مياه مرفأ اوكلاند. نسيت كل اضطرابها وانزعاجها من دايفيد. واعتراها شعور بالشفافية والمتعة والسرور، دفعة واحدة. قاد دايفيد اللاند روفر حول متنزه عام ممتلىء بالزهور الجميلة المتنوعة ثم اوقفها الى جانب الشارع وأقفل أبواب السيارة، ثم سارا معا على الرصيف مع المتبضعين. توقف دايفيد عند مدخل سوق تجاري مليء بالحوانيت المزينة ثم أشار بيده نحو ناطحة سحاب: «يجب ان اقابل شخصا في مكتبه هناك، والمبنى يقع على الشارع الثاني، ستجدين في هذا السوق عدة محلات.» تابع دايفيد توجيهها: «قد يسعدك الحظ وتعثرين على ملابس تعجبك. هل تعتقدين ان ساعة تكفيك كي تعثري على شيء يناسبك؟»

اجابته ضاحكة: «هذا يعتمد على الاسعار.»

«لا تعيري بالا لذلك.» ولمع شيء ما في عينيه للحظة، ثم اختفى وكأنه أراد ان يضيف شيئا ثم غير رأيه.

«سأراك بعد ساعة.»

حاولت سارة الاعتراض، على ما ارتابت في معنى كلامه ولكن الأوان فات. لانه لوح بيده واستدار مبتعدا، ورأته يعبر الشارع الى الجانب الآخر.

حدقت سارة في ظهر دايفيد وهو يبتعد وقالت في نفسها. انها اصبحت تتخيل امورا سخيفة من جراء تأثير نظرته الغامضة والساحرة. ولكنها لن تهتم لهذا الامر، ألم

توضح له ان لا نية عندها للسماح له بدفع ثمن الفستان الذي سوف تشتريه من اجل الاحتفال؟ وقررت وهي تشعر بالسعادة والانشراح، انها لن تشتري إلا فستانا معتدل الثمن ويعجبها.

اصرت سارة على عدم التلهي بالنظر الى واجهات الحوانيت التي تعرض الملابس المختلفة والخلابة. وتوقفت اخيرا أمام حانوت صغير وكتب الاسم على لافتته بأحرف ذهبية مضيئة، دخلت الى الحانوت وبنظرة سريعة متفحصة على الملابس المعروضة ادركت انها لن تجد طلبها، ولم يعجبها اي شيء ولم يحالفها الحظ ايضا في مخزن كبير يحتوي على انواع عديدة من ملابس النساء.

دخلت سارة مخزناً ورأت بداخله عدداً قليلاً من الفساتين المعروضة التي يمكن الاختيار منها.

حيث البائعة المتوسطة العمر، التي كانت ترتدي زياً اسود اللون، سارة بابتسامة لطيفة. وكونت بنظرة خاطفة انطباعاً عن قوام سارة النحيل وتقاطيع جسمها، فيما اصغت الى زبونتها وهي تشرح لها ما تريد.

لم تضيع البائعة اي وقت ودخلت الى الغرفة الخلفية ثم خرجت وبيدها فستان قرمزي اللون، تصميمه يشد الانظار. قالت وهي تبسط الفستان على الطاولة أمام سارة كي تتفحصه: «قد تجدين ان هذا الزي غير محتشم قليلا.»

تفحصت سارة الفستان بعناية وهزت برأسها: «لا، ليس هذا مطلبي.»

تأبطت سارة حقيبتها وكانت على وشك الخروج عندما ناداتها البائعة:«انتظري. لدي بعض الإزياء التي لم يأت اصحابها لتسلمها. وقد دفعوا عربونا عليها في بداية الصيف. لذلك خفضنا كثيرا اسعارها، وهي صفقة جيدة في حال انطبق واحد منها على مقاسك.»

أزاحت البائعة ستارة في زاوية الغرفة لتكشف عن مجموعة من الفساتين المختلفة. وجدت سارة بينها فستانا اسود من قماش ناعم، يهتز على علاقته بفعل النسيم الذي يهب من النافذة المفتوحة. اعجبها الفستان من اللحظة الأولى ولاحظت بنظرة خاطفة، تفصيل الياقة الجذابة، وبدا انه على مقاسها وأن طوله مناسب.

وقبل ان تلتقط سارة الفستان الاسود، امتدت يد سمراء وراءها وانتزعت الفستان من علاقته.

«انظري الى هذا.» الصوت المألوف لهاء ثانية، استدارت لترى دايفيد يحدق بها. يا للوقاحة، فكرت سارة باستياء، يصل الى مكان لقائهما قبل الوقت المحدد ويلاحقها الى هذا المحل في الوقت الذي تتمنى فيه ان يكون بعيدا عنها آلاف الكيلومترات.

لاحظت سارة باضطراب ان نظرته الفاحصة قد وقعت على تقاطيع جسمها النحيل ومن دون سبب وجدت صعوبة في النظر الى وجهه المبتسم. قال دايفيد بحماس:«كأن هذا الفستان قد فصّل خصيصا لك، وعلى مقاسك تماما، هل انت راضية.»

كذبت سارة:«انا اشك بذلك.»

وكالعادة، لم يدخل دايفيد معها في نقاش قال

لها:«هيا جربيه.» وهو يرمي بالفستان فوق ذراعها.

جهدت سارة بأقصى استطاعتها كي تنم نبرة صوتها عن اللامبالاة وتمتمت:«سأفكر وسأجرب هذا الفستان ايضا.» وانتزعت بعنف اقرب فستان معلق على السكة ودخلت حجرة تبديل الملابس. شيء ما في داخلها كان يشعرها ان الفستان الاسود هو الذي تمنت الحصول عليه... مميز وناعم وبسيط وبماشي تطورات الموضة. تمنت سارة في نفسها ان لا يطابق مقاس الفستان مقاسها. ولكنه من مقاسها تماما. نظرت الى نفسها في المرآة الطويلة وشاهدت اطراف القماش الاسود المشبك والناعم تتراقص مثل النسيم حول كاحليها. لم يعد عندها ادنى شك. هذا هو الفستان الذي تريده.

رفت عينا سارة عندما وقع نظرها على الرقم المكتوب على بطاقة السعر. إذا كانت هذه هي اسعار الاوكازيون فكيف بالاحرى الاسعار العادية. ولكن مرة واحدة في حياتها سوف تسرف على نفسها وتشتري ما تريده فعلا، مهما كان الثمن. وعلى اي حال، هي لم تنفق اي شيء تقريبا من مدخراتها أضف الى ذلك راتبها الاسبوعي من العمل في الكرم.

«هل استطيع الدخول؟» اتاها صوت دايفيد في ذات الوقت الذي تحاول فيه اتخاذ قرارها بشأن الفستان.

أزاحت سارة الستارة التي تفصلهما ورأته ينظر إليها بإعجاب:«انه رائع ويعجبني.» تعابير الانشراح والسرور البادية على وجهه كادت ان تصيب سارة بالجنون. اي شخص موجود هنا كان سيتخيل... من خلال تعابير

وجه دايفيد انه مصمم هذا الزي. أدار وجهه نحو البائعة التي كانت منشغلة في مؤخرة الغرفة وقال لها بحماسة:«هذا هو، هذا ما نريده، سوف نشتريه.»

«نشتريه، بصيغة الجمع؟» حدقت سارة في وجه دايفيد الطفولي وعيناها تكادان ان تلتهماه.

نقلت البائعة نظرها بين دايفيد وسارة حائرة في ما يجب ان تفعله. «هل انت مقتنعة بهذا الفستان يا سيدتي؟»

«وماذا عن السعر؟»

مرة اخرى، هدد طوفان الغضب باغراق مشاعرها، وأسدلت الستارة عليها ولم يبق الا رأسها ظاهرا للأعين:«اجل...» اضافت وهي ترمق دايفيد بنظرة حارقة:«اعتقد ان هذا الفستان هو مناسب لي.»

وكأن دهرا قد مر عليها داخل الحجرة عندما خرجت بشعرها المتطاير في كل الاتجاهات وبفستانها الاحمر القديم يجرجر نفسه عليها بخجل وشاهدت البائعة تكتب الفاتورة.

قالت:«انا الذي سأدفع ثمنه.» وهي تلاحظ بسرعة ان دايفيد كان واقفا الى جانب البائعة، وقد وقعت عليها نظرته المتهكمة. مدت يدها داخل حقيبتها. «لقد اتيت من انكلترا وليس معي غير الشيكات السياحية، هل تقبلين بها؟»

«بالطبع.»

بحثت عن الشيكات في حقيبتها من دون جدوى. «انا متأكدة اني احملها... في مكان ما هنا.» وفتشت بيدين مرتجفتين محتويات حقيبتها ثم تذكرت انها لم تجلب

معها دفتر الشيكات لانها أزالت المغلف الذي يحتويه من حقيبتها في الليلة الماضية ولم ترجعه الى مكانه.

تمتمت بحسرة للبائعة المنتظرة:«أنا آسفة. لن استطيع شراء هذا الثوب بعد كل هذا التعب.»

قال دايفيد برقة:«لا بأس.» لم تساعدها في تخفيف شعورها بالخجل الشديد، ووضع بطاقة اعتماده على الطاولة امام البائعة، فيما كانت سارة تنتظر بصمت وعيناها ترسلان الشرر في اتجاهه، وكانت البائعة تكتب وصلا بالمبلغ.

لفت البائعة الثوب بورق خاص ووضعته في كيس من البلاستيك الابيض والذهبي وناولته لدايفيد، القى عليها تحية الوداع عندما قالت بلطف وهي ترمقهما:«اتمنى ان اراكما ثانية.»

سارت الى جانب دايفيد، وهي تشعر ان خديها يحترقان من كثرة تدفق الدم إليهما، باتجاه الشارع حيث كانت اللاند روفر متوقفة.

قال دايفيد بنبرة آسرت قلبها:«لا تتكدري. ان كلفة هذا الفستان هي جزء من كلفة العرض الغنائي وأنا لا افهم معنى لهذا الاستياء الذي تبدينه.»

قالت وهي تحاول ان ترفع من معنوياتها:«ما كنت اشتريته، لو عرفت ذلك. على الاقل، ليس قبل ان احصل على ثمنه. كنت سأعود لشرائه عندما اعثر على دفتر شيكاتي بطريقة ما.»

«انت تعرفين انك لن تعثري عليه.» وصلا الى حيث كانت اللاند روفر متوقفة وفتح دايفيد ابوابها:«ولن يكون

بمستطاعتك العودة الى هنا، حسناً، لقد خمنت.» قال وقد لاحظ غضبها:«اني لن آتي بك الى هنا ثانية.»
«لم تكن عندي النية لطلب ذلك منك.» ثم اضافت بعد ان راودتها فكرة مفاجئة:«هل تقبل الشيكات السياحية؟»
اجابها دايفيد بهدوء:«كلا، ليس منك يا سارة.»
لم تشعر سارة بالرغبة في الاستسلام قالت وهي تشعر بأن الاهواء تعصف بها:«إذا، اريدك ان تحسم ثمن الثوب من راتبي الاسبوعي.لا يهمني إذا كنت سأدفع آخر قرش اقبضه.»
اغلق باب السيارة الثقيل عليها، ثم دار حولها واتخذ مقعده ونظر نحوها:«اريدك ان تفهمي الامر نهائيا، انا الذي يدفع كل تكاليف الاحتفال في صن فالي بما فيه ثمن الفستان ولا حاجة لأن اقول، كان عليك ان تدركي هذا الامر عندما كنت تراجعين حسابات المصاريف للعام الماضي.»
«اجل، لقد فعلت، ولكن الحسابات لم تتضمن ثمن ملابس دارين التي ارتداها في يوم المهرجان. او ثمن الزي التقليدي الذي ارتدته الفتاة التي صاحبته في العزف والغناء. ولم يكن مسجلا الا المبلغ الذي قبضه اجرا على إقامة الحفلة.» شعرت بالخيبة لارتجاف صوتها. «لقد اخبرتك مرارا ولكن يبدو انك لم تفهم بعد. إني لا احتاج اليك، كي تشتري لي اي شيء، وكما قلت، سأدفع ثمن الفستان من راتبي.»
هز دايفيد كتفيه العريضتين:«لا بأس، إذ كان هذا ما تريدين.» ان نشوة الانتصار لم تدم اكثر من لحظة

لأن دايفيد اضاف:«بالطبع سوف أزيد راتبك ليصبح متناسبا مع مدفوعاتك.»
فتحت سارة فمها كي تعترض ثم اغلقته ثانية، أوه، انه يجننها، مغرور، انانى ويبدو انه لا توجد وسيلة لقهره.
رسمت على شفتيها ابتسامة رياء ولم تفت الحركة نظر دايفيد. سألها:«ما هو الشيء الذي يضحكك؟»
اجابت بصوت خافت:«لا شيء بتاتا، كنت اتأمل فقط، كم انت عنيد، لا شيء يقف في طريقك عندما تصمم على شيء.»
نظر دايفيد اليها بتهكم وقال:«مضحك، لقد كنت افكر في هذه اللحظة، كم انت عنيدة.» فيما كان يدير محرك السيارة ويبدأ رحلة العودة الى الكرم.
قاد دايفيد اللاند روفر على الشارع المزدان بأنوار الحوانيت المختلفة والمبهجة، وواجهات العرض الخلابة، وتوقف الجدال والنقاش الحاد بينهما.
«هذا الحي يحتوي على كثير من الحوانيت التي تبيع بضائع مسروقة، هل تريدين إلقاء نظرة؟»
اجابته سارة ببرودة:«لا شكرا.» من دون أي مال في حقيبتها، يفقد التبضع، حتى التبضع النظري اغراءه، وهي تفضل بكل بساطة ان تموت على ان تطلب من دايفيد ان يسلفها، اليوم، اي مبلغ.
عاد ثانية الى النبرة الساخرة:«لم اعتقد انك ستقبلين.»

الفصل السادس

كانت سارة، لا تزال مستاءة من تصرف دايفيد، عندما دخلت بيتها، مرهقة من تعب الرحلة، هرعت مباشرة الى غرفة النوم وألقت على السرير كيس البلاستيك الذي يحوي فستانها الاسود، ثم ذهبت الى المطبخ وتناولت من الثلاجة عصير برتقال مثلج.

تناولت سارة مجلة وهي تشعر بقلق غريب، وتصفحت العناوين الرئيسية ثم طرحتها جانبا. وبدا لها انها لا تستطيع التركيز على القراءة. هل اسدلت ساحرة دايفيد المغناطيسية، ستارا على تفكيرها؟

كي تسلي نفسها، امسكت سارة الغيتار الذي جلب دايفيد وأخذت اصابعها القوية تتلاعب بالأوتار، هذه فرصة كي تتمرن على الأهازيج والأغاني التي تعرفها، تحضيرا لحفلة مهرجان الكرمة التي لم يبق على إقامتها الا يومان.

اول ما تبادر الى ذهن سارة هو ان تعزف للتسلية فقط. اغنية نيوزيلندا الفولكلورية التي أثار دايفيد حولها الزوابع. ليس لأنها ترغب في انشادها امام الجمهور لن تفعل ذلك ابدا ولكنه مجرد فضول. قفزت على قدميها وهرعت الى غرفة النوم حيث بنطال الجينز ملقى وأخذت من جيبه ورقة النوتة الموسيقية. بسطت الورقة المطوية امامها، وانحنت على الغيتار مما جعل خصلة من شعرها الغزير البني تنسدل على جبينها. التقطت

ببطء ايقاع اللحن، ثم دوزنت الانغام بسرعة، بمصاحبة خبطة قدمها على الارض مع الإيقاع. ودوى النغم في سكون الغرفة. وكما توقعت، كان اللحن هو نفسه الذي دندنه دايفيد مرارا.

وضعت سارة، فجأة الغيتار جانباً، وهي مدفوعة برغبة راودتها طول الامسية ولم تستطع مقاومتها، سارت الى خزانة الملابس وبحثت بين محتوياتها، إنه فضول فقط، قالت سارة في نفسها، ولا يضر بشيء إذا هي ألقت نظرة على الزي اليوغسلافي التقليدي الذي تكلم عنه دايفيد بحماس. هذا إذا وجدته. فتحت الدرج الموجود في أسفل الخزانة ووجدت داخله كومة من القماش ولما سحبتها، تبين لها انها فستان من القطن الناعم، كمّان طويلان مزركشان حافته مطرزة، بشكل رائع، باليد وبخيوط وردية وبيضاء.

ارتدته ونظرت الى نفسها في المرآة الطويلة. وقد أقرت في نفسها ان هذا الزي الاوروبي التقليدي قد زاد جمالها. ولكن هذا غير مهم، أنبت سارة نفسها، ما يهم هو المبدأ، ولهذا لن ترتديه رغم روعته. خلعته عنها وطوته ثم وضعته في اسفل الخزانة. ولا يهمها إذا بقي هذا الزي هناك الى الابد.

ارتفعت نسبة رطوبة الجو في الليل الى درجة كبيرة، فيما كانت سارة تتقلب على سريرها وقد جفاها النوم، بسبب العاصفة الرعدية التي كانت تزمجر في الخارج، من دون اي برق. دوى فجأة صوت رعد عال وخيل لسارة ان الصوت أتى من فوق رأسها مباشرة،

خصوصاً لأنها لم تشهد من قبل عاصفة رعدية كهذه. وتمنت في نفسها ان يهطل المطر كي تنخفض حرارة الجو.

قررت سارة بعد ان قطعت الامل في امكانية النوم، ان تبرد نفسها في حوض السباحة. وكانت فكرة الغطس في مياه الحوض مغرية الى درجة انها لم تأخذ اكثر من دقيقة كي تخلع عنها ملابسها وترتدي المايوه وتهرع خارجا.

تبللت قدما سارة، عندما اصبحت خارجاً، من الندى الذي يغطي العشب. وكان الهواء مثقلا باحتمال هطول المطر، والأشجار ترمي ظلالا سوداء على الأفق.

سبحت سارة بانسياب هادىء كادت به ان توقف تموج الماء، وتمتعت بالشعور الذي غلفها به الماء البارد. توقفت قليلاً عندما وصلت الى نهاية الحوض وتحسست القعر الصلب كي تقف عليه. دفعت الى الوراء شعرها المبلل والمنسدل على وجهها، وفيما كانت على وشك البدء بجولة ثانية من السباحة، تحرك نحوها ظل داكن. سمعت صوت دايفيد المتهكم والساخر: «مرحبا يا سارة.»

احست ان قلبها يكاد ان يتوقف عن الخفقان، وسمعت نفسها تسرع القول بسخافة: «انت! ماذا تفعل هنا؟»

اجابها دايفيد بهدوء: «اتمتع بالبرودة، فقط.»

«في الثالثة صباحا؟»

«من يتكلم!» وأخمد دوي الرعد صوته. اضاف فيما لمعان البرق في الافق يضيء وجهه الضاحك: «هيا، سوف اسابقك حتى الطرف الآخر من الحوض.»

استدارت على نفسها في لمح البصر وبدأت تضرب صفحة الماء على غير جدوى، فقد ادركت سارة على الفور ان لا أمل عندها في ان تسبقه، عندما رأته يسبح مستعملا، ضربات الكراول السهلة والخفيفة. ولما وصلت الى الحافة وجدته بانتظارها...

قالت: «سأعود الآن الى الكوخ...»

تقدم منها سابحا وسد عليها الطريق: «لم العجلة؟»

لم تحس في نبرة صوته ما يهددها، ولكن لماذا يخفق قلبها بهذه السرعة؟ استدارت حوله بخفة وقالت: «اراك في الصباح.»

امسك بيده القوية ذراعها. وسمعت سارة نغمة غير مألوفة في صوته: «لماذا ترتجفين، يا سارة؟»

اجابته وهي تتنفس بسرعة: «اني اشعر بالبرد. اجل اني اشعر بالبرد.»

«لو كان ذلك صحيحاً، لتركتك تذهبين، مما تهربين؟»

اجابته بسرعة: «انا لست هاربة من شيء. وكيف استطيع الهروب وأنت تسد الطريق علي، اتعرف ذلك؟»

سمعت سارة نفسها تقول اول شيء خطر في رأسها لكسر لحظة تمر: «عندما وقع نظري عليك وأنا في الحوض ظننت انك خرجت من المنزل كي تلحق بي...»

«ألحق بك؟» انها تكرهه عندما يتكلم معها بهذه النبرة الساخرة. سألها: «ولماذا افعل ذلك؟»

«كيف لي ان اعرف؟» وشعرت ان لمسة يده على ذراعها تعصف بأفكارها بشدة. «ربما، لأنك متلهف لأن تعرف إذا غيرت رأيي في انشاد اغنيتك الخاصة.»

«لقد عزفت اللحن جيداً عندما كنت تتمرنين، بعد الظهر، وأنا متأكد ان عزفك في الحفلة سيكون افضل.»

إذاً، دايفيد استرق السمع عندما كانت تتمرن بعد الظهر، يا لغرور هذا الرجل! صرخت سارة في وجهه:«كلا. لقد اخبرتك مراراً، لن اغني هذه الانشودة ابداً.»

«لا؟» خيم الصمت المشحون بالتوتر الى ان قال دايفيد:«باستطاعتي ان اغير رأيك.»

احست سارة بشيء ما في نغمة صوته التي تربكها. شيء مؤثر مثل لمسة حب، يجعل مشاعرها تدور حائرة على نفسها، وتنفسها يأتي متقطعاً. قالت متحدية:«باستطاعتك ان تجرب.» وانتظرت الوسيلة الجديدة التي سيستعملها في اقناعها.

عانقها دايفيد بقوة. ولم يعد يهم مرور الوقت. اخيراً افلتها، وسمعت منه ضحكة ابتهاج خافتة ونبرة صوته الخشنة تقول:«ألم أقل لك، اني استطيع تغيير رأيك.»

مضت برهة قبل ان تسجل في عقلها هذه الجملة وتدرك أهمية مغزاها. وقد اثلجها هذا الادراك.

«انت... انت...» احست بالاختناق ولم تستطع متابعة الكلام. ما اغباها، لقد أساءت تفسير نبرة صوته الخشنة وضحكة الابتهاج الخافتة. لقد كان يتلاعب بعواطفها متعمداً، كي يقنعها بإنشاد اغنيته. والأمر المهين في كل هذا، انها تجاوبت معه.

اعترى سارة غضب عنيف، فقالت:«اسمع، لدي ما اخبرك به.» صرخت في وجهه:«لم أغير رأيي ولن اغيره ابداً.»

سُبحت مبتعدة عنه بضربات انسيابية، الى الجانب الآخر، من البركة، وهذه المرة لم يحاول ايقافها، ولماذا يفعل؟ فكرت وهي تغلي في داخلها. ان دايفيد العنيد والمخادع... كما تعرف الآن، يجب ان يعرف انه خسر معركته معها.

انساب الماء من شعرها عندما ركضت فوق العشب الندي عائدة الى الكوخ، مبتعدة عن القوة التي مارس دايفيد تأثيرها على عواطفها الشاردة.

كيف امكنها ان تنسى اي نوع من الرجال هو؟ موجة من الألم امسكت قلبها. لقد اعتقدت بالفعل انه عانقها لأنه... رغب بذلك. ما هذا الجنون الذي اصابها؟ وتعثرت خطاها فيما كانت تدخل الكوخ وهي تشعر بالمهانة والغضب.

استيقظت سارة على ضوء الصباح المشع وهي تشعر بثقل جفنيها، وصممت بينها وبين نفسها على ان تخفي بأي وسيلة، مشاعرها الحقيقية عن دايفيد الذي سيبقى بعيداً طوال النهار يعمل في الكرم، وهذا افضل. لأنه لا يهتم بها بطريقة او بأخرى. فالعناق الذي اربك مشاعرها وهز عالمها وكلفها نوم ليلة، لم يؤثر به اطلاقاً، وتمنت لو لم يؤثر بها ايضاً.

قالت سارة في نفسها، انها ان تلتقي دايفيد كثيراً، في يوم المهرجان لأنه سيكون منشغلاً مع المدعوين والزوار المتوقع حضورهم. وهي ستكون منشغلة بالعزف والغناء لهم. اما ما تحتاجه في الوقت الحاضر، فهو ان تشغل نفسها بأي عمل كي تنسى ما حدث. وأفضل طريقة لذلك

«لقد عزفت اللحن جيداً عندما كنت تتمرنين، بعد الظهر، وأنا متأكد ان عزفك في الحفلة سيكون افضل.»

إذاً، دايفيد استرق السمع عندما كانت تتمرن بعد الظهر، يا لغرور هذا الرجل! صرخت سارة في وجهه:«كلا. لقد اخبرتك مراراً، لن اغني هذه الانشودة ابداً.»

«لا؟» خيم الصمت المشحون بالتوتر الى ان قال دايفيد:«باستطاعتي ان اغير رأيك.»

احست سارة بشيء ما في نغمة صوته التي تربكها. شيء مؤثر مثل لمسة حب، يجعل مشاعرها تدور حائرة على نفسها، وتنفسها يأتي متقطعاً. قالت متحدية:«باستطاعتك ان تجرب.» وانتظرت الوسيلة الجديدة التي سيستعملها في اقناعها.

عانقها دايفيد بقوة. ولم يعد يهم مرور الوقت. اخيراً افلتها، وسمعت منه ضحكة ابتهاج خافتة ونبرة صوته الخشنة تقول:«ألم أقل لك، اني استطيع تغيير رأيك.»

مضت برهة قبل ان تسجل في عقلها هذه الجملة وتدرك أهمية مغزاها. وقد اثلجها هذا الادراك.

«انت... انت...» احست بالاختناق ولم تستطع متابعة الكلام. ما اغباها، لقد أساءت تفسير نبرة صوته الخشنة وضحكة الابتهاج الخافتة. لقد كان يتلاعب بعواطفها متعمداً، كي يقنعها بإنشاد اغنيته. والأمر المهين في كل هذا، انها تجاوبت معه.

اعترى سارة غضب عنيف، فقالت:«اسمع، لدي ما اخبرك به.» صرخت في وجهه:«لم أغير رأيي ولن اغيره ابداً.»

سُبحت مبتعدة عنه بضربات انسيابية، الى الجانب الآخر، من البركة، وهذه المرة لم يحاول ايقافها، ولماذا يفعل؟ فكرت وهي تغلي في داخلها. ان دايفيد العنيد والمخادع... كما تعرف الآن، يجب ان يعرف انه خسر معركته معها.

انساب الماء من شعرها عندما ركضت فوق العشب الندي عائدة الى الكوخ، مبتعدة عن القوة التي مارس دايفيد تأثيرها على عواطفها الشاردة.

كيف امكنها ان تنسى اي نوع من الرجال هو؟ موجة من الألم امسكت قلبها. لقد اعتقدت بالفعل انه عانقها لأنه... رغب بذلك. ما هذا الجنون الذي اصابها؟ وتعثرت خطاها فيما كانت تدخل الكوخ وهي تشعر بالمهانة والغضب.

استيقظت سارة على ضوء الصباح المشع وهي تشعر بثقل جفنيها، وصممت بينها وبين نفسها على ان تخفي بأي وسيلة، مشاعرها الحقيقية عن دايفيد الذي سيبقى بعيداً طوال النهار يعمل في الكرم، وهذا افضل. لأنه لا يهتم بها بطريقة او بأخرى. فالعناق الذي اربك مشاعرها وهز عالمها وكلفها نوم ليلة، لم يؤثر به اطلاقاً، وتمنت لو لم يؤثر بها ايضاً.

قالت سارة في نفسها، انها ان تلتقي دايفيد كثيراً، في يوم المهرجان لأنه سيكون منشغلاً مع المدعوين والزوار المتوقع حضورهم. وهي ستكون منشغلة بالعزف والغناء لهم. اما ما تحتاجه في الوقت الحاضر، فهو ان تشغل نفسها بأي عمل كي تنسى ما حدث. وأفضل طريقة لذلك

هي ان تنظف المخزن قبل وصول الزوار عند الظهر.
شاهدت سارة وهي سائرة في طريقها الى المخزن، وبرغم الوقت المبكر، دايفيد وهو يصف طاولات صغيرة ومقاعد في ظل اشجار الماكروكاربا العملاقة. كما وضع طاولات نزهة بالقرب من موقد المشاوي. ولأنه لا يمكنها تفادي الالتقاء به، اخذت نفسا عميقا، وهزت رأسها ببرود، وقالت بصوت حاولت ان يكون هادئا: «صباح الخير، يا دايفيد.»
اجابها وهو يرمقها بابتسامة افسدت عليها ما قررته في ان لا تفكر به: «اهلا، يا سارة. هل كل شيء جاهز لليوم الكبير؟»
تمتمت: «اجل على ما اعتقد.» وهرعت مبتعدة. حيّت كيت بارتياح عندما دخلت مطبخ المنزل الكبير.
«ادخلي يا سارة، لقد وصلت في وقتك. كنت سأذهب وأبحث عنك...»
شاهدت سارة ، في نظرة سريعة على ما حولها في المطبخ، انه ممتلىء حتى آخر سنتيمتر بأواني الطبخ، والمأكولات المتنوعة، والخس الطازج، والبصل والبطاطا المطبوخة، وعدة اصناف من الجبنة، وعدة اصناف من الحساء ومجموعة متنوعة من السندويشات الصغيرة الحجم. قالت كيت: «اريدك ان تساعديني في تحضير السلطات. انا افضل ان اقدم عدة اصناف منها مع المشاوي التي يحضرها دايفيد.»
شغلت سارة نفسها بسرعة، وبعدة اشياء ومر الوقت سريعا، فيما كانت الطاولات تمتلىء بأطباق السلطات

والخضار المتنوعة، الكبيرة. وخيل لسارة ان لا نهاية لأصناف الطعام التي ستقدم مع وجبة المشاوي لاحقا.
«اخرجي الصحون والشوك والملاعق والسكاكين من صناديقها، ضعيها على طاولة النزهة بالقرب من موقد المشاوي كي يستطيع المدعوون خدمة انفسهم. وفي المناسبة ضعي المقبلات المؤلفة من السندويشات الصغيرة ورقائق البطاطا والبذورات على الطاولات التي في الظل كي يتناولوها مع الشراب الذي سيقدمه دايفيد لهم.»
ارادت سارة ان تذهب الى الكوخ، بعد ان انتهت من مساعدة كيت، كي تأكل شيئا وترتدي الفستان الاسود. عندما نادتها كيت: «انتظري! هنالك عمل آخر قبل ان تذهبي وقد كدت انسى! اللوحة التذكارية...»
«اللوحة التذكارية؟» باتت الحيرة على وجه سارة.
اجابتها كيت: «ها هي.» وناولتها قطعة كبيرة من الخشب المضغوط وعددا من الدبابيس: «سوف تحتاجين الى كل هذا.» ثم اعطتها ملفا من الكرتون السميك يحتوي على صور فوتوغرافية وقصاصات صحف ومجلات. «نحن نعلق هذه اللوحة كل عام، وهي من تقاليد هذا المهرجان، انها تثير الاهتمام بتاريخ هذا الكرم والعائلة التي غرسته.»
تأبطت سارة الملف، بشعور من الواجب، وجرت وراءها قطعة الخشب الى الخارج. ثم جلست القرفصاء على العشب لكي تنظم الصور والقصاصات حسب ترتيبها الزمني.

www.liilas.com Digital Art of Affection

«ياه، دعيني امد لك يد المساعدة.» قفز قلب سارة ونظرت الى الاعلى لترى دايفيد واقفا الى جانبها. قطعت سارة مسار تفكيرها وعادت للاصغاء الى نبرته الساخرة.

«عرض الصور التذكارية للعائلة هو جزء من هذا الاحتفال.» انحنى دايفيد واختار صورة فوتوغرافية بالأبيض والاسود من بين مجموعة الصور الملقاة على العشب وثبتها على اللوحة الخشبية.

وجدت سارة نفسها تحدق في الصورة التي تظهر خليجا على البحر الابيض المتوسط وقوارب صيد راسية بالقرب من الشاطىء وأكواخا مبنية من الحجر فوق المنحدرات الصخرية.

«هذه صورة جزيرة على البحر الادرياتيكي حيث كانت البداية، وحيث ولدت تقاليد صناعة الشراب. هذا نيكولو.» اضاف وهو يمسك بصورة شاب ذي شعر داكن. «لقد كان صانعا بالوراثة ورحل عن جزيرته ليكون على ابعد ما يمكن من كرم عائلته. العمل الوحيد الذي استطاع العثور عليه في البلد الجديد كان العمل في نبش الصمغ من تحت جذور الاشجار. لقد كانت الظروف سيئة والأرض بقساوة الصخر. وعاش العمال في اكواخ مزرية. ولكنه استطاع ان يوفر مالا، يكفي لشراء عدة هكتارات من الارض هنا. التربة والمناخ كانا شبيهين بتربة ومناخ الجزيرة التي اتى منها.»

امسك دايفيد بصورة اخرى تظهر رجلا اسود العينين.

«تراه في هذه الصورة يقتلع الاعشاب الضارة والتوت

البري كي يهيىء الارض لزراعة العرانش على الطريقة الاوروبية. انظري! هذه صورة زفافه.»

اثارت الصور اهتمام سارة، رغماً عنها، ونسيت استياءها من دايفيد كانت تحدق في الصور الباهتة.

«ولكن العريس يبدو مختلفا هنا...»

قال دايفيد لا مباليا: «أوه، هذا الرجل ليس العريس، انه أخوه بيتر.»

«أخوه؟»

ابتسم دايفيد من دهشتها. وأجاب: «لم يكن بإمكان نيكولو تحمل مصاريف رحلة الذهاب والعودة الى بلاده، ولم تتمكن زوجته زينا من الحصول على تأشيرة دخول الى نيوزيلندا، إلا إذا تزوجت من نيكولو. وهكذا تزوجت، على عجلة، بالنيابة، من اخيه. وفي هذه الصورة نرى ان شقيق نيكولو قد اخذ مكان العريس قبل ان تصعد على متن السفينة المتجهة الى نيوزيلندا. ولما وصلت، احتفلا بزواجهما باللباس الرسمي. انظري الى هذه الصورة التي تظهرهما معا...»

تأثرت سارة بالسعادة التي كانت تبدو عليهما. «اني اتساءل فيما إذا كانت تشعر بالغربة وهي بعيدة جدا عن أهلها؟»

«اجل، لقد احست بعذاب الغربة. واعتقدت في البداية انها لن تصمد. ولكن عندما وصلا الى الوادي قررت زينا ان تكافح وتستمر.» شعرت سارة ان لمعان عينيه يسخر منها. «لقد عملت بجانب زوجها، وهذا ما اختارته لنفسها.»

«اعرف ذلك، لقد اخبرتني القصة.»

تجاهل دايفيد تعليقها، كعادته عندما لا يعجبه كلامها. استطرد بعد ان اختار من بين المجموعة صورة التقطت في استديو: «وبعد ثلاثة اجيال... هذه صورة رجل قرابته لي بعيدة جدا... ستيفن، رجل رائع، من افضل الرجال. لقد كان يشرف على الكرم قبل ان... استلم ادارته.»

امسكت سارة تنفسها، لانها ميزت، على الفور، الصورة. أهذه هي الصورة نفسها التي كانت موضوعة على مكتب شقيقتها منذ سنوات طويلة، في منزلهما في لندن، وبقيت في مكانها حتى يوم الحادث الذي اودى بحياتها؟

حدقت في الوجه الملتحي المألوف وترقرقت الدموع في عينيها، هذا هو ستيفن كما تتذكره. الشعر الاسود الغزير واللحية الداكنة، وملامح وجهه اللطيفة. وأحست، فجأة، انها تخون هؤلاء الناس. ما الذي تفعله في هذا الكرم، انها غريبة عنه، وقد ورثت هذه الاملاك بضربة حظ لو عرفت الموقف على حقيقته وأدركت ماهية تقاليد صن فالي، لما أتت الى هنا، بتاتا. ولكن... همس صوت صغير من اعماقها، لما كانت قابلت دايفيد ايضا.

اسكتت سارة الصوت وتساءلت، من اين اتت هذه الخاطرة الغريبة الى رأسها؟

قطع صوت دايفيد عليها التأمل: «هذه صورة اخرى له. التقطت في مكان ما من اوروبا، عندما ذهب الى هناك ليشتري انواعا جديدة من شتلات العنب.»

التقط دايفيد صورة فورية من بين الصور الملقاة على

العشب بجانبه وقال: «لا اعتقد ان هذه الصورة ستثير اهتمامك، انها صورة فورية، تظهر فتاة عرفها خلال رحلته، وهي تقف في حديقة.» لماذا تشعر انه يتجنب ذكر اسم كاتي؟

«اعلم ان هذه الصورة لن تهمك.» استطرد دايفيد وهم بإلقاء الصورة على كومة الصور، ولكن سارة انتزعت، لا إراديا، الصورة من يده قبل ان يفعل. ليست مهمة، ها؟ قفز قلبها وشعرت بالإعياء وهي تشاهد منظرا في الصورة كان مألوفا لديها في الجانب الآخر من العالم، ويظهر الحديقة الخلفية لمنزل من القرميد، استشفت بسببه من ذاكرتها، منظرا آخر لم تظهره الصورة... الحافلة الحمراء ذات الطبقتين وهي تسير على الطريق الذي يمر من امام منزل القرميد.

ورأت سارة الرجل الطويل الملتحي سعيداً، يحيط بذراعيه خصر فتاة نحيلة تستند على كتفه. شعرت بطعنة في قلبها وهي تنظر الى صورة شقيقتها الراحلة كاتي وهي ترمق ستيفن بنظرة مفعمة بالحب والسعادة وخيل لها ان الاشعاع من عينيها يكاد ان يخرج من الصورة. ثم رأت في الصورة فتاة في الثامنة من عمرها... سارة الصغيرة وهي تقف بخجل الى جانب كاتي ويدها ممسكة بيد شقيقتها.

كانت الصورة مهترئة ومتسخة، ويبدو ان شخصاً حملها طويلا في جيبه، وهي من ممتلكات ستيفن العزيزة. لقد التقطت هذه الصورة بآلة التصوير الفورية التي عند أمها، في الحديقة الخلفية لمنزلهما في لندن منذ وقت طويل!

ولتصبح الآن البرهان الساطع على تنكرها المجنون.
هل دايفيد يرتاب بأمرها؟ لم تجرؤ على النظر إليه، قد يتكهن بسرها، وقد قيل لها مرارا، انها لا تستطيع اخفاء مشاعرها. اخيرا، جازفت ونظرت الى الاعلى، ولكن نظرته الباردة لم تنم عن شيء. لو كان يرتاب بشخصيتها وبسبب قدومها الى نيوزيلندا لكان قد سلخ جلدها باتهاماته. أعترتها الرجفة بمجرد ان فكرت بذلك. قطعت نبرته الساخرة عليها هذا التأمل المرعب: «لقد اعتقدت انه يمكنك ان تميزي المكان الذي تظهره الصورة.»
هل يعرف؟ تسارعت افكارها، هل هو يخمن؟ منتظراً ان تقع في الفخ وتفضح نفسها؟
من المحتمل ان يفضحها الشبه بينها وبين كاتي، أم هل فضحها فعلاً؟ لقد كان شعرها، في ذلك الوقت، أملس ومعقودا مثل ذيل الحصان، ولكن ما الفرق الآن، وسمعت صوتها المكبوت: «لندن، هل هذا ما تعني؟»
اخيرا جاءها الالهام. وتحول عقلها المضطرب الى العمل بجدية: «هل تعني الحافلة ذات الطبقتين؟ انهم يأخذون السياح دائما، في رحلات حول مدينة لندن.» لا تنظري الى دايفيد، قالت لنفسها.
شعرت فجأة بقرع الطبول في اذنيها بالدوار. وسمعت صوت دايفيد وكأنه يأتي من بعيد: «سارة، سارة، هل انت بخير؟»
كان للنغمة الحادة في صوته العميق فعل الماء البارد على اعصابها المتوترة. استجمعت قوتها وظهرت ابتسامة

حائرة على وجهها: «بالطبع انا بخير! لماذا تسألني؟»
«لقد شحب لون وجهك فجأة...»
حاولت ان تأتي نبرة صوتها عادية: «أوه، لهذا. لا يهم، هذا امر يحدث لي من وقت لآخر ولا خطر منه.»
«آه، لقد ظننت انك مريضة.»
غمرتها موجة من الشعور بالاطمئنان. لقد اعياها الخوف في ان يعرفها دايفيد من الصورة التي مضى على التقاطها وقت طويل. لكن يبدو ان كل شيء بخير.
تفحصت نظرته وجهها الفتي، واستدارة الشفاه العذبة والبشرة الناعسة والملوحة قليلاً بالاسمرار. قال دايفيد: «انت تبدين افضل حالا، الآن.»
لو انه يعرف السبب الحقيقي لتلون خديها باللون الزهري. دهشت سارة وتأثرت لأن دايفيد ابدى اهتماما بصحتها عندما لاحظ شحوبها لكن، لا بد ان قلقه نابع من خوفه ان تمرض ولا يعود في إمكانها إحياء الاحتفال، وسيجد صعوبة في العثور على فنان يحل مكانها في وقت قصير. هل يوجد سبب آخر لقلقه؟
كان رده عليها، نظرة لم تستطع سبر غورها ولا تفسيرها، ومنذ متى كان هناك مجال لفهمه، ابدا.
فيما بعد هرعت سارة الى الكوخ، واستحمت وغسلت شعرها. الخصلات الغزيرة الداكنة سوف تجف سريعا في الطقس الحار، وضعت قليلاً من الكحل الاخضر على جفنيها ومسحة من احمر الشفاه البراق الذي اكتمل به ماكياجها البسيط. شعرت بالابتهاج وهي ترتدي الفستان الاسود الذي اشترته، فيما كانت

تشاهد من النافذة وصول أوائل المدعوين. التقطت الغيتار ثم خرجت، وأفسحت طريقا لها بين الجموع المتجمعة. معظمهم لم يلاحظ حتى وجودها. ثم وقفت في ظل شجرة وبدأت تتفحص أوتار الغيتار.

«أنت تبدين رائعة.» قفز قلب سارة واستدارت نحو مصدر الصوت. لم تشعر بدايفيد وهو يقترب منها. وها هو الآن يقف الى جانبها، ويتفحصها بعينيه الداكنتين باهتمام.

«آوه. الفستان. اهذا ما تعني؟»

«كلا. ليس الفستان، بل انت.» وشعرت، تحت تأثير نظرة الاعجاب التي رمقها بها، باللون الفاضح يعتلي خديها ونسيت قرارها في ان تتصرف معه ببرود ولا مبالاة.

ناداه عدد من الرجال لينضم إليهم:«مرحبا دايفيد.»

انحنت سارة على الغيتار، انه لن يسمعوا غنائي في هذه الضجة على الاطلاق، ولكني سأغني على أي حال.

عندما بدأت الانغام تنساب من الغيتار وتملأ الجو حولها، وصدح صوتها الرقيق والواضح، بقوة. توقف الكلام والضحك واتجهت كل الانظار الى الفتاة النحيلة التي تقف وحيدة في ظل شجرة، وهي منحنية فوق آلتها الموسيقية.

«سوف اعزف وأغني ما أشاء.» هذا ما اخبرت مديرها به ولا تزال على قرارها. بدأت بانشاد بضع أغان قديمة ثم انتقلت الى أغاني الغرب الاميركي والأغاني الريفية. ثم بعد توقف قصير، اخذت بأنشاد اغنية جديدة اجتاحت انكلترا في الوقت الذي سافرت به الى هنا.

وبدا من رد فعل الجمهور ان الاغنية مألوفة لديهم هنا.

اسندت سارة الغيتار الى جذع شجرة، في فترة الاستراحة، وتفحصت وجوه الموجودين ، ورأت دايفيد يقف مع زمرة من الرجال. نظر اليها في اللحظة نفسها التي رأته فيها. تقابلت نظراتهما وتشابكت ثم اشاحت بنظرها عنه وشغلت نفسها بالبرنامج الموسيقي.

لاحظت سارة، بعد دقائق، ان دايفيد يمر بين المدعوين قادما باتجاهها:«تعالي معي يا سارة.» ورأت عندما اقترب منها، لمعانا يتراقص في عينيه.

فكرت لدى سماع نبرة صوته الرخيم، لماذا يملك صوتا كهذا، عميقا، ومداعبا. «هذا ما نعتبره الآن قمة الاحتفال.» اوضح لها بحماس:«تذوق شراب الموسم الجديد، العصرة لا تزال خضراء. انها جديدة الى درجة اننا لم نطلق اسما عليها. هل لديك اقتراح؟»

قالت سارة وهي لا تزال واقعة تحت سحره، بابتسامة بائسة:«هل يجدي اسم الوادي السعيد؟»

«لم لا.» سمعت نبرة غريبة في صوته:«تعالي معي، انها مناسبة خاصة، لك خصيصا...»

ترددت سارة ونظرت إليه بارتياب، إذا كانت هذه فكرته عن المزاح... اشاحت بنظرها عنه لترى من خلال فتحة بين الناس المتجمعين، طاولة صغيرة عليها عدة أكواب وزجاجة شراب، ورأت وجوها مألوفة، العاملات معها في قطف العنب، باتي الفتاة التي تقيم في مزرعة الكيوي المجاورة وزوجها الشاب بيل الذي يقود احيانا شاحنة دايفيد. قال دايفيد:«ان الجميع بانتظارك.»

«بانتظاري، أنا؟!» اتى صوتها اجش ينم عن الدهشة: «لماذا أنا؟ انا لم افعل شيئا لأستحق به هذا التكريم.»

«انت واحدة منا.» بدا على دايفيد الحماس والسعادة. «لقد دعونا الجميع لهذه المناسبة، العمال والموظفين وكل من له علاقة من قريب او بعيد بصنع الشراب في العام الحالي.»

قالت سارة متمسكة بموقفها: «انا غير جديرة بذلك. فأنا هنا منذ فترة قصيرة فقط...»

«اسمعي.» وسمعت سارة من خلال ضجيج وضحك الآخرين اصواتا تناديها: «سارة، سارة، نحن نريد سارة.»

ألقى ذراعه على كتفيها بلا مبالاة وقادها عبر زحمة الزائرين. «ستتعرفين اليوم على كل مزارعي العنب في نيوزيلندا.» حاولت الاصغاء اليه ولكن ذراعه التي احاطت بكتفها كانت تفعل بعواطفها وتشعرها بدوار. ماذا كان يقول؟ «هذا احدهم، اتى من الجنوب. ولكن رحلته لم تأخذ وقتا طويلا من محطة استلام الغنم العائلية الى هنا.» لكن الطائرة الصغيرة التي كانت تحط بالقرب منهم لفتت نظرها وخصوصا الشاب الذي نزل منها.

الفصل السابع

«مرحباً، دايفيد.» قال الشاب الذي ترجل من الطائرة وانضم إليهما. وعلى الرغم من انه حيا دايفيد فقد حدق بسارة ولم يزح نظره عنها.

«سارة... لاري.» قدمها دايفيد باختصار.

«اهلا، لاري.» ابتسمت له سارة رداً على ابتسامته. «لقد تعرفنا على بعض من خلال الهاتف، لقد دعوتك خصيصا لحضور المهرجان، هل تذكر؟» ما الذي يجعل شكله صبيانياً؟ هل هو النمش الغزير الذي يغطي وجهه؟

قال لها بصوت منخفض: «تُذكّريني؟ وكأني نستيك! لقد كنت منتظراً هذا اللقاء، اليوم...» توقف عن متابعة الكلام وظهر الاحمرار الشديد على وجهه المنمّش. دهشت سارة وهي تنقل نظرها من رجل الى آخر، لرؤية تعابير الغضب على وجه دايفيد. وبدا على وجه لاري الاحراج وأخذ بالاعتذار: «لم اعرف انك ودايفيد...»

اجاب دايفيد بصوت مكبوت: «ان سارة تعمل عندي في الكرم... فقط.»

ابتسمت سارة للاري: «هذا صحيح.» في محاولة لتخفيف شعوره بالاحراج، لأنه لم يرتكب اي خطأ يستحق عليه نظرة الغضب هذه من دايفيد. قالت له «لقد اتيت من انكلترا كي اقضي عطلتي بالعمل هنا. وأنا اتمتع بكل لحظة هنا.»

طرأ تغيير في مزاج دايفيد، عندما اقتربا من الطاولة التي تحلق حولها المتذوقون وأخذ يمزح ويتحدث مع المدعوين فيما كانت عيناه تلمعان بالسعادة والانشراح.

سكب دايفيد الشراب في الاكواب وانتظر حتى تناول الجميع اكوابهم من على الطاولة ليرفع كوبه ويقول: «لنشرب نخب الوادي السعيد.»

نادى الجميع وراء دايفيد: «نخب الوادي السعيد.» ودهشت سارة التي انضمت الى كورس المنادين وهي تشاهد دايفيد يحدق بها، بدل ان ينظر الى الذين تحلقوا حوله وهم يدعون له أطيب التمنيات. لماذا تشعر بهذه الإثارة المجنونة؟ انها لم تحتسي شرابها بسبب انشغالها بالعزف والغناء.

هل تلوم الخمر أم الشراب على ما تشعر به؟ لا... يجب ان تعترف لنفسها، ان سبب شعورها هذا، هو جاذبية دايفيد الساحرة التي، برغم صفاته السيئة، أسرت قلبها الشارد. عادت الى رشدها وتذكرت، لقد اطلق الاسم الذي اقترحته على الشراب الجديد، هل هي اقترحته فعلاً؟

انفصلت سارة عن الزمرة التي كانت معها وعادت الى موقعها في ظل الشجرة والتقطت الغيتار. وتعالت هتافات الاعجاب والتصفيق بين كل مقطع وآخر من الألحان التي كانت تعزفها، ولم يتركوا لها وقتا للراحة.

«المزيد، المزيد.» ردد الجميع ما عدا دايفيد، الذي رأته مندمجا بالحديث مع عدة رجال، بدا عليهم انهم مزارعو عنب أتوا من مناطق اخرى كي يشاركوا في الاحتفال.

استمرت سارة بالعزف والغناء، حتى ساعة متأخرة برغم ان معظم المدعوين توقفوا عن الاصغاء الى اغانيها. ما عدا لاري الذي استمر بالاصغاء على الرغم من انشغاله بالحديث مع معارفه من حين الى آخر. ومع مرور الوقت، ألفت منظره وهو يقترب منها، ويحمل إليها احياناً، كوب عصير مثلجا.

«لماذا لاترتاحين قليلا.» رجاها بصوت صبياني.

ضحكت سارة وهزت برأسها. وعندما تلاشت الانغام، ابتسمت له وقالت: «انهم يدفعون لي اجراً كي اعزف وأغني، الا تعرف ذلك؟»

عندما ألقت فيما بعد، شمس الاصيل اشعتها البنفسجية على التلال المحيطة بهم، رأت سارة عددا من الاشخاص يمدون الطعام، الذي حضرته كيت، على طاولات النزهة، وتصاعد الدخان، قريبا منهم، من موقد المشاوي. اكتفت سارة بالبقاء في مكانها، وعزفت موسيقى خفيفة لهم خلال تناولهم الطعام. ثم أصر لاري عليها، أن تذهب معه لينضما الى احدى المجموعات التي تحلقت حول الطعام ولكنها هزت برأسها، مما جعل شعرها البني ينسدل كالحجاب على وجهها. اجابته: «انا لست جائعة.»

استدار لاري مبتعداً عنها، وقد بانت على وجهه الخيبة. «إذا، سأنتظرك هناك.»

نادته سارة: «ربما انضم إليك فيما بعد.»

«لن تنضمي إليه، وأنت تعرفين ذلك.» هذه النبرة الساخرة ثانية! نظرت سارة الى الاعلى ورأت دايفيد يقف الى

جانبها. «لأن الاستمتاع بمذاق اللحم لا يكون إلا فور الانتهاء من شوائه، وليس بعد ساعة او أكثر.»

انحنت سارة على الأوتار: «بالفعل انا لا اريد...»

«الآن.» أخذ بيده القوية الغيتار منها وألقى به على العشب. لا جدوى من معاندته قالت سارة باستسلام: «انت الذي تأمر هنا.» وسمحت له بمرافقتها وهو يفسح لها الطريق بين المدعوين إلى طاولة الطعام.

رأت سارة رجلا عملاقا، أشقر الشعر، يقف الى جانب الطاولة، خاطبه دايفيد، عندما اقتربا: «كيفن، هذه سارة.»

نظر كيفن اليها باهتمام: «إذاً، انت الفتاة التي وظفها دايفيد في الكرم هذا الصيف.» صوته اجش بنبرة بطيئة برغم صغر سنه، لم يتجاوز العشرين إلا بقليل. «كان يجب ان اعرف، من خلال حديث دايفيد عنك...»

نظرت سارة الى دايفيد متسائلة عما يعنيه كيفن. ولاحظت من انطباق شفتيه ولمعان عينيه الداكنتين انه يستمتع بمجرى الحديث وانها لن تعرف ابدا ما الذي قاله عنها لهذا الرجل.

اخذ دايفيد، بعد لحظة، سارة من ذراعها وسارا نحو موقد المشاوي، حيث اختارت طبقاً من بين اصناف السلطة الموضوعة على الطاولة قرب الموقد، ورأت ان كيفن قد لحق بهما ووقف الى جانبهما، وتعلو وجهه اللطيف ابتسامة ودية. سألها وهو يغمز بعينيه: «انت تستمتعين بالحياة هنا، اليس كذلك؟ هل كان دايفيد قاسيا معك؟»

«كلا، ليس في العمل...» وتوقفت سارة عن متابعة الكلام خوفا من ان تقول ما يجول في فكرها. ثم استطردت: «العمل في الكرم كان ممتعا للغاية بالنسبة إلي.» ولم تجد حاجة لاخفاء نبرة الحماس في صوتها: «خاصة، عندما تنضج العناقيد تحت شمس صيف نيوزيلندا، فيما الناس يرتجفون بردا في بلدي، انكلترا.» ما ذكرته الآن كان على الاقل، صحيحا. وقعت نظرتها الضاحكة على لاري، الذي انضم اليهم. «وقد شاهدت الآن، للمرة الاولى في حياتي، طائرة الميكرولايت الخفيفة.» ابتسمت للاري. «لم اصدق، للوهلة الأولى، ان هذه الطائرة خفيفة، لقد بدت هشة وهي تحلق فوق التلال، قد اطلب من لاري ان يأخذني على متنها في نزهة.»

«لا داعي لأن تسألي؟» انشرح وجه لاري: «اختاري اي يوم وأفضل ان يكون قريبا، ما رأيك في نهاية هذا الاسبوع؟»

نظرت سارة بابتسام الى من حولها: «اخبروني، هل انا حقا شجاعة، ام غبية؟ ما الفرق؟ على اي حال سأقبل دعوته للقيام بهذه النزهة.»

«لا.» دوى صوت دايفيد مغلقاً المجال أمام أي نقاش. استدارت الوجوه المندهشة والتي خيم الصمت عليها، باتجاهه، وتعالت اصوات الاعتراض من الموجودين: «لا تكن متزمتا يا دايفيد! لا تفسد على الفتاة متعة الطيران.»

لاحظت سارة نظرته العميقة الخارقة عندما سألها: «هل

انت حقاً تريدين الطيران على متن الميكرولايت؟»
ترددت لحظة في الإجابة، وقد حيرها التأثير الساحر الذي يشع من نظرته. وتذكرت كيف اندهشت عندما رأت الطائرة الهشة والمكشوفة تقلع في الهواء وتهبط بسلام. هل تستطع هذه الآلة الطائرة حمل راكب آخر؟ تضاربت الاحتمالات في رأسها ولم تستطع ان تبعد عن مخيلتها الانطباع الاول الذي كونته عن الطائرة، على انها لعبة أولاد مصنوعة من قطع الخشب والألمينيوم. لأنها لو فعلت لاستطاعت ان تستجمع شجاعتها وتوافق على ركوبها.
«كنت اعلم انك ستفكرين ثانية في قرارك.»
قررت سارة على الفور، خلاف ما نوت عليه، عندما شاهدت السخرية التي ارتسمت على شفتي دايفيد. قالت وهي تجهد كي يأتي صوتها ثابتا:«حسنا، انا لم اغير رأيي. سوف تكون النزهة تجربة رائعة.» اضافت بثقة لم تكن تشعر بها:«وسوف اكتب عنها في رسائل ابعثها الى بلادي.»
قالت سارة عندما لاحظت تعابير الندم التي ظهرت على وجه دايفيد بسبب جملته الاخيرة:«انا آسفة.» وهكذا وضعت حداً نهائياً للجدل حول النزهة الجوية التي عزمت على القيام بها. ورأته ينظر الى لاري ويقول:«ان سارة تعمل في عطلة نهاية هذا الاسبوع. بعض الامور التي تتعلق بالتعبئة ووضع الملصقات وما يتبع ذلك. كما اتوقع وصول رحلات سياحية وزبائن، وقد وجدت من خلال خبرتي ان موسيقى الغيتار تضيف جواً خاصاً

على المكان، ويجب ان ننتهي من طلبات التصدير ايضاً.»
فتحت سارة فمها كي تتكلم ولكنها لم تفعل. هذه هي المرة الاولى في حياتها التي لم تستطع فيها الكلام. نظرت إليه شزرا كيف يجرؤ على التدخل في شؤونها الخاصة؟ تسارعت الافكار في رأسها. هل هو ينتقم منها لأنها رفضت تلبية مطالبه في الحفلة الموسيقية؟ هي تعرف، بالتأكيد، انه ليس بحاجة إليها في نهاية الاسبوع برغم ما بدا من خلال نبرة صوته انه يعني فعلا ما يقال. اضاف بلا مبالاة:«تستطيع سارة القيام بهذه النزهة في وقت لاحق.»
خيم الصمت على الزمرة المتحلقة وسكت الكلام والضحك. شحب وجه لاري بعدما فهم مغزى كلام دايفيد. عندما يكون الامر متعلقا بهذه الفتاة، ولو في أيام العطل، فالأمر يعود للمدير. ولكنه رد على دايفيد بانشراح:«يجب علينا ان نؤجل هذه النزهة، كما يبدو لي.»
ترك دايفيد، فيما بعد، الزمرة وذهب الى غرفة الاستقبال وأدار جهاز الستريو، وسرعان ما صدحت الألحان الراقصة الشعبية واختلطت بضحكات ومسامرات الموجودين. وضع لاري يدا على ذراع سارة وقال متنهدا:«لسوء الحظ يجب ان اعود الى المدينة.»
سألته سارة بتعجب:«ماذا تعني؟»
«انظري الى هناك.» تتبعت سارة إشارة يده الى حيث بدت الشمس الغاربة وكأنها كتلة نار حمراء لوحت الافق باللون البرتقالي الملتهب.

«ان قيادة طائرة الميكرولايت ليست لعباً ومتعة فقط.» وأضاف بحسرة:«يجب ان اطير قبل حلول الظلام، اسمعي.» قال باستعجال:«سوف ألتقي بك ثانية، اليس كذلك؟» واستطرد قبل ان تتمكن من الجواب:«هناك شيء.» شد على يدها بقبضة دافئة. «... هل تمانعين إذا طلبت منك؟ ليس إلا...» بدا الانفعال عليه. «... ما اعنيه هل توجد علاقة عاطفية بينك وبين دايفيد؟» ازداد صوته انفعالا:«اتعرفين ما اعني، اتفهمين مقصدي؟» قالت سارة وهي لا تصدق ما سمعت:«دايفيد؟ انه رئيسي، وأنا ما أكاد اعرفه، هذا كل ما في الامر.» ظهر على وجه لاري الارتياح:«اذاً، سوف أراك ثانية؟» «إذا شئت ذلك.»

رد لاري بانشراح:«رائع. صدقيني إذا قلت لك، انه لولا الظروف لما ذهبت الآن. والأمر يهون لو كنت سأراك في نهاية الاسبوع. ولكن يبدو ان المدير لا يستطيع الاستغناء عن خدماتك هذا الاسبوع. ما يطلبه يحصل عليه.» تهدج صوته فجأة:«هل ستعلمينني اذا تغيرت الأمور، وأصبحت حرة في نهاية الاسبوع؟ اتصلي بي على الهاتف، كيت عندها الرقم. وسوف آتي وأقلك على متن الطائرة ونذهب في نزهة. ليس عندك فكرة كيف يبدو الريف جميلا عندما تنظرين إليه من اعلى. وتشاهدين قمم الجبال وكأنها هامات، والغنم والماشية في مراعيها كأنها بقع على السهول الخضراء. وسوف ابرهن لك...» خفت صوته تدريجيا:«عديني انك ستحاولين الاتصال بي عندما تسنح الفرصة...»

«حسناً. اعدك بذلك.» ولكنها كانت متأكدة ان الفرصة لن تسنح، واحتمال ان يعدل دايفيد عن قراره ويسمح لها بأخذ عطلة في نهاية الاسبوع، معدوم تقريبا. وهي لا تبالي كثيرا لهذا الأمر، وكل ما تهتم له هو معاملة دايفيد المتسلطة، معها، والتي تكاد ان تصيبها بالجنون. وأقسمت في نفسها على ان تنتقم للطريقة التي عاملها بها اليوم، وما عليها إلا الانتظار.

«عمت مساء يا سارة، أكره ان اتركك هكذا.»

ما كادت ان تسمع سارة كلام لاري، لأنها كانت تراقب دايفيد من زاوية عينها، وهو يقف قريبا من مجموعة مزارعين يتكلمون عما حدث بينها وبين دايفيد. وبحركة لا شعورية، أرادت ان تظهر له ان باستطاعتها جذب الرجال الآخرين، ورفعت رأسها الى الاعلى وقالت بنعومة:«عمت مساء، يا لاري.» ورماها لاري بقبلة في الهواء.

قال لها:«اراك قريباً.» واستدار مبتعداً. وعلى الفور اختفى عن انظارها بين الناس الآخرين.

«هل ترقصين يا سارة؟»

ادارت سارة رأسها لترى من دعاها الى الرقص، وشاهدت كيفن ينحني فوقها. تمالكت نفسها بسرعة وابتسمت له. «هيا بنا.» وسرعان ما اتخذا مكاناً لهما بين الراقصين.

تمتمت سارة:«هل تعرف، اني رقصت على هذا اللحن في الليلة التي سبقت سفري من انكلترا الى هنا؟ ويبدو انكم هنا، تتابعون احد الألحان التي تنتشر هناك.»

سالها كيفن:«اين استمعت الى هذا اللحن؟»

«في حفلة خاصة، اقامها صديق لمناسبة عيد ميلاده الحادي والعشرين.» شردت افكار سارة، وشعرت بالسخف لأنها فضلت المجيء الى هذا الوادي المنعزل الذي يبعد آلاف الكيلومترات عن أي مكان، ولأنها ترقص على العشب الجاف في ليلة صيف، وفي ظل التلال المحيطة بالوادي بدلا من البقاء هناك. ومن الغرابة ان تشعر بكل هذه السعادة هنا. برغم كثرة اصدقائها في انكلترا وبأنها في بيتها وبين أهلها.

مشت سارة مع كيفن عندما خيم الظلام على المكان، الى غرفة الاستقبال فيما كانت الموسيقى الصادرة عن جهاز الستيريو تصدح في سكون الليل. تبين لسارة ان كيفن راقص بارع، وان خطواته تتمايل بخفة مع ايقاع اللحن. واحتفظ كيفن بسارة كشريكته في الرقص لحنا بعد آخر، وكان ذلك بالنسبة لها امرا جميلا، لأن آخر شيء كانت تتمناه هذه الليلة هو ان ترقص مع دايفيد، فيما عدا، ذكرت سارة نفسها، ان الرقص سيتيح لها الفرصة كي تفهمه بأي وسيلة، كيف تشعر نحو ترفعه وتدخله في شؤونها الخاصة.

ادركت سارة لاحقا خلال السهرة، انه لم يكن هناك من داع لشغل بالها، لأنها لم تره يقترب بتاتا من حلبة الرقص. أثبت نفسها. لماذا تفكر به على الدوام؟

كان كيفن آخر من غادر الحفلة عند انتهائها واتجه المدعوون نحو سياراتهم وشاحناتهم وسيارات اللاند روفر.

وجدت سارة مجموعة من النساء، عندما دخلت مطبخ المنزل الكبير. كيت، تنظف الصحون على المجلى، باتي ترتب الصحون والأواني النظيفة على الرفوف، فيما كانت امرأتان تضعان فضلات الطعام في أكياس القمامة، وفتى كانت سارة قد لاحظته، باكرا، يساعد دايفيد في شواء اللحم على الموقد، ينظف الارض.

حيتهم سارة:«مرحبا.» واعجبها الفتى الذي يرتدي بنطال جينز ضيقا، ويبلغ عمره الخامسة عشر وتعلو وجهه النضر ابتسامة لطيفة.

قالت كيت:«هذا بول.» وهي تدير رأسها نحو سارة، انه احد افراد عائلتنا الكبيرة، ولكن لا نراه كثيرا، لأنه يقيم مع عائلته بعيدا، على الجزيرة الجنوبية.»

ضحك الفتى وقال:«من الآن وصاعدا، سوف تريننني كثيرا، يا عمتي كيت، ولا استطيع الانتظار اكثر كي اسرد عليك الأخبار المثيرة. امي سوف تسعد كثيرا عندما تسمع ذلك.»

خيم الصمت على الجميع فيما استطرد بول:«لقد وافق دايفيد على اعطائي عملا هنا في الصيف وحتى يحين موعد دخول الجامعة.» لمعت عيناه بالحماس:«وهل تعرفون؟ لقد اخترت التخصص في مادة الكيمياء، وقد قال دايفيد ان التخصص في هذه المادة سيفيدني كثيرا في المستقبل.» وغمز بعينيه ضاحكا. «لا احد يعرف متى يأتي الحظ، ولكن حسبما اخبرني، يجب ان اجتهد وأدرس بجدية وبأقصى طاقاتي وبلا تباطؤ وان احصل على علامات جيدة. وقد اعطاني الدافع الذي به

تجعلينه يصدح بالالحان. هل فكرت باحتراف الغناء والعزف يوما؟»

ان آخر شيء كانت تتوقعه من دايفيد ان تحظى بتقديره المخلص على الجهد الذي قامت به في الحفلة، ومع ذلك فهو فعلا يعني ما يقول. ولكن إذا استطاع تجاهل كل شيء آخر، فكرت سارة، فهي تستطيع ذلك ايضا. اجابته بلا مبالاة:«لم افكر جدياً في ذلك، لأنه لم يكن عندي قط، الوقت او المال من اجل دراسة هذا الفن.»

«كان يجب ان تفعلي، ان موهبتك طبيعية.»

وصلا الى الكوخ، وعلى منصة الدار الصغيرة، استدارت لتصبح وجها لوجه معه. قالت:«انا سعيدة لتمتعك بغنائي.» موجة من الحيرة جعلت افكارها تضطرب بجنون. تنفست بعمق وسألته:«إذا ليس هناك من شكاوى؟»

«فقط أمر واحد...» اقترب منها خطوة. وهذا جعل قلبها ينبض فجأة، بشدة:«اخبريني، هل اعطيت لاري موعدا كي تذهبي معه في نزهة على متن طائرته؟» لماذا تشعر ان هذا السؤال ملغوم ويلفه الغموض؟

«لاري؟» حاولت جاهدة كسب الوقت وقد ادركت ان الفرصة قد حانت كي تنتقم من دايفيد، واغتنمتها:«أوه، اجل، اننا بانتظار يوم مناسب كي اطير معه في هذه الآلة الخفيفة المضحكة.»

قال بلهجة أمر شديدة وغير اعتيادية:«لا تذهبي.»

مما جعل سارة تحدق به مذهولة، يا لجرأته!لقد حان الوقت لتلقينه درسا. «ولماذا لا أذهب؟» صرخت به،

ومدت يدها الى مقبض الباب كي تفتحه ولكن دايفيد خطا نحوها وسد الطريق عليها. «لقد وعدت لاري بالطيران معه يوما.» اضافت وهي تتصنع الهدوء:«وأنا انتظر هذا اليوم بفارغ الصبر. وإذا كان ما يقلقك هو الخطر الذي يمكن ان اتعرض له، فاطمئن بالا، لأن سجل لاري في الطيران لا غبار عليه، وبالنسبة إلي فأنا لا اخاف ركوب المخاطر... ابدا.»

صر دايفيد على اسنانه بشراسة:«ولكن انا الذي اخاف، اريدك ان تفهمي جيدا، انت لن تطيري معه في هذه الآلة السخيفة، الميكرولايت... لا في الوقت الحاضر ولا فيما بعد.»

قالت باستياء:«وما هو السبب؟»

«لأني لا اقبل بذلك.»

انفجر كل ما كتمته في قلبها في وابل من الكلام:«كما اخبرتك سابقا، اني اختار الألحان التي اعزفها وأختار الثوب الذي ارتديته، فأنا ايضا اختار اصدقائي.» ولأنها شعرت ان صمته بطريقة ما هو اكثر رهبة من الكلام الساخر الذي كانت تتوقعه منه، اضافت:«اني اعمل هنا فقط، كما تعرف، وأنت لا تملكني.» علا الاحمرار وجهها:«على أي حال...» نظرت إليه بارتياب:«لماذا قلت للاري انك لا تستطيع الاستغناء عني في عطلة الاسبوع؟»

قال بهدوء:«لقد سمعتني حينها. ضغط العمل.» لماذا لا تثق بهذه النغمة في نبرة صوته الساخرة؟

«انا اتعجب، وأريد ان اسألك عن أمر؟» وبدا انها لا

تستطيع منع تدفق الكلام الغاضب من فمها:«لماذا اتخذت هذه الموقف العدائي من لإري مع انه لم يفعل شيئاً وبدا لي انه رجل لطيف جدا...»

«أوه، انه رجل لطيف بالتأكيد.»

«إذاً ما هي المشكلة؟»

«انها جزء من اتفاقنا. عندما حصلت على العمل هنا. هل تتذكرين...» مرة اخرى لاحظت سارة التهكم في صوته:«ان احتمال العمل في عطلة نهاية الاسبوع هو وارد دائما...»

رمت سارة فجأة، كل منطق في الهواء:«انه فقط احتمال! انت لا تزال غاضباً، لأني رفضت ان انشد اغنيتك الخاصة اليوم، وان أعدل البرنامج الموسيقي لأجلك.» حدقت به والشرر يتطاير من عينيها.

هز دايفيد كتفيه:«انا استطيع ان انتظر...»

انفجرت به غاضبة:«تنتظر! كيف بامكانك التكلم هكذا! بعد... بعد...» ذهلت وهي تسمع نفسها تضيف:«... كل ما فعلته معي، اليوم؟»

اجابها بصوت هادئ ورصين:«ما الذي تعنيه بكلامك؟»

قالت بصوت متهدج:«وكأنك لا تعرف.» فيما كانت تحاول ان تمنع دموعها التي كادت ان تنهمر.

«لقد تحدثت مع بول، منذ قليل، لقد كان مسروراً جداً لأنك اعطيته عملاً في هذا الموسم. العمل الذي اشغله أنا.» اهتز صوتها وهي توجهت له هذا الاتهام:«كيف تستطيع ان تفعل شيئاً كهذا؟» صرت على اسنانها كي

تمنع نفسها عن البكاء. «كما انك لا تبالي بما يحدث لي.»

غمرها دفعة واحدة، احساس بالخيبة والاحباط بسبب التراكمات العاطفية طوال هذا اليوم الطويل، ومسحت بيدها الدموع التي سالت على خديها. «لا احد... لقد ظننت...» تعثرت بالكلام:«انا اعني، إذا كنت بحاجة الى شخص يحمل رخصة قيادة صالحة، فأنا عندي هذه الرخصة، ولم اعتقد في البداية ان ذلك يهمك.»

«لا يهمني؟ منك، يا سارة؟» اخذتها الدهشة بفعل الدفء المفاجيء في نبرته الخشنة، ولكن نبرته تبدلت بعد لحظة وأصبحت عادية. وقالت سارة في نفسها، لا شك انها تخيلت هذه الرقة غير المتوقعة منه. ان يكون رقيقاً معها؟ دايفيد؟ لا شك انها فقدت صوابها. افاقت من تأملاتها وعادت للإصغاء اليه:«لقد اسأت الفهم تماما، وتشابكت افكارك. صدقيني، اني احتاج للمساعدة في العمل، من أي جهة اتت.»

تنهدت سارة باطمئنان:«أوه. لقد ظننت انك استغنيت عن خدماتي.»

«استغني عنك يا سارة؟» لم تستطع سماع هذه الكلمات جيداً لأنه تمتم بها بصوت خافت، وخيل لها، بعد دقيقة، انه لم يقلها. يبدو انها في هذه الليلة، تفترض كل الاحتمالات غير المعقولة، مثل النغمة العاطفية في نبرات دايفيد الخافتة.

اعادتها نبرته الساخرة الى الواقع:«هل فهمت الموقف الآن؟»

«أوه، اجل، اجل.» اكدت له وهي تشعر بالسعادة، وانتظرت ان يقول لها انه لا يعترض على قيامها بنزهة مع لاري في طائرة الميكرولايت ولكنه بدلا من ذلك تمتم بشيء غير مفهوم، ثم قال:«تصبحين على خير يا سارة.» واستدار مبتعدا بخطوات طويلة متمهلة واختفى في سكون الليل.

رفعت سارة رأسها عن طاولة المكتب عندما دخل بول المكتب وسألته:«هل رأيت دايفيد هذا الصباح؟ هنالك من يطلبه على الهاتف.»

«لقد ذهب مع فتاة تدعى لين، لقد اتصلت به وذهبا منذ وقت طويل.» وقال انه لن يعود قبل حلول المساء. لقد مرت عليه في الصباح واقلته معها في سيارتها. اووه، ما اجملها، ان دايفيد يعرف كيف يختار فتياته.»

لم تفهم سارة السبب لشعورها المفاجئ بالحيرة والحزن. الخبر ليس مفاجئا. لقد اخبروها مرارا عن العلاقة الغرامية المتقطعة بين دايفيد ولين. وفي الوقت نفسه لا يعني دايفيد لها شيئا. هل هذا معقول؟ ولماذا تشعر بالغضب والاحباط؟ بالطبع ان الذي يزعجها هو انه سمح لنفسه بالقيام بنزهة في نهاية الاسبوع بينما منعها في الوقت نفسه من الذهاب مع لاري. قالت بصوت مرتفع:«هل ترك لي اي خبر؟»

«كلا، ولا حتى كلمة.»

غمرتها موجة من الاستياء.

قال بول وهو يشعر بأهميته:«وهكذا لا يبقى للاشراف على العمل إلا انا وانت. وبالنسبة إلي، لا بأس بذلك،

فأنا سعيد لوجودي هنا، وليس عندي مكان آخر اذهب إليه، ليس بلا جواز سفر.»

كانت سارة ما تكاد تصغي الى صوته الطفولي، لقد ترك لها امر التعامل مع الرحلات السياحية التي يحتمل وصولها في غيابه، وهذا امر يناسبه. لانه لم يترك لها فرصة للاختيار ولم يترك لها ايضا توجيهات خاصة. لا شك انه كان متلهفا لهذا اللقاء غير المتوقع مع الفتاة التي لا يزال يحبها الى درجة نسي معها كل شيء آخر. اطبقت شفتيها بقسوة. حسنا، في الامكان ان يلعب اثنان هذه اللعبة! نظرت من خلال النافذة. يوم صاف، بدون رياح، وسماء زرقاء براقة. انه يوم مثالي للطيران بالميكرولايت. ولم لا؟ وهي غير مجبرة على الانصياع لأوامر دايفيد، قالت سارة في نفسها. وإذا كان غيابها عن الكرم سيكلفه خسارة عدة زبائن مهمين، فهذا خطأه.

التقطت بعد دقيقة، سماعة الهاتف وطلبت رقماً مكتوباً على دفترها.

سمعت صوت لاري عبر الهاتف. «ألو؟»

«هذا انا، سارة.»

«سارة.» احست من خلال صوته بدهشته وسروره الشديدين:«هل تخابريني كي تقولي ان باستطاعتك الطيران معي كما وعدت؟ أهذا هو السبب؟»

سألته:«كيف عرفت؟»

«لقد كان هذا ما اتمناه، سوف اكون عندك قبل ان تشعري بمرور الوقت. النشرة الجوية في المذياع تحذر

من هبوب الرياح في آخر النهار. وليس عندنا وقت نضيعه. هناك شواطىء رائعة وصالحة للسباحة...»

«هذا يعجبني.»

«حسناً، اجلبي معك المايوه وقبعة شمس، ان اشعة الشمس حادة جداً، وبشرتك الانكليزية...»

اكدت له:«سأفعل ذلك.»

«اوه، شيء آخر، يصبح الهواء في الاعلى بارداً والافضل ان تجلبي معك ثلاث كنزات صوفية...»

تنهدت سارة بدهشة:«هل قلت ثلاثاً؟ لا اعتقد اني سأحتاج...»

«ستشعرين بالفرق عندما تصبحين على ارتفاع ثمانمئة قدم عن سطح البحر. ثقي بي. اسمعي. سوف نصرف اليوم كله في الطيران والتنزه والسباحة. وليس هناك من مجازفة في مواجهة الامواج العالية على الشاطىء. سوف اهتم بك وأقوم برعايتك.»

أذاب الدفء البسيط الذي شعرت به الجدار الجليدي الذي احاط بقلبها. ان لاري رجل لطيف وذو مصداقية، وعلى الرغم من معرفتها القصيرة به، فهي تعرف انها تستطيع ان تثق به بخلاف دايفيد.

عادت عن افكارها وأصغت للاري يقول بحماس:«لا استطيع الانتظار اكثر كي ابدأ الرحلة، سوف اراك حالاً، وأنا اعني حالاً.»

رجعت الى الكوخ ووضعت المايوه في حقيبة نزهة ثم وضعت منشفة ونظارات شمسية والكريم الواقي. ثم ارتدت عدة قمصان رياضية فوق

بعضها وذهبت الى المنزل الكبير تبحث عن كيت. وجدت سارة المرأة المسنة في المطبخ وهي تقطع حبوب فاكهة الكيوي التي ارسلتها باتي، وهي غير صالحة للتصدير الى الاسواق العالمية، لتصنع منها المربى.

قالت سارة لكيت:«سيأتي بعد قليل لاري ويأخذني في نزهة على متن طائرته، الميكرولايت. سيصل في الحال.»

ظهر في عيني كيت عدم الرضى وقالت وقد علا محياها الاستياء:«لن يكون دايفيد مسروراً لهذا العمل. اظن انك تعرفين انه سيمضي هذا النهار مع لين.»

ولكن سارة لا تريد سماع اي شيء عن لين، واعتلى وجهها الاحمرار، وافقت على كلام كيت برقة:«اعرف انه لن يكون مسروراً.»

رمقت كيت سارة بتحد:«ماذا سيحدث لو وصلت رحلة سياح ولا يوجد احد هنا كي يهتم بهم؟»

اجابت سارة:«لقد راجعت جدول الرحلات، وليس عندنا اي حجوزات مسبقة لهذا النهار.»

قالت كيت وهي تحاول احباط همة سارة:«لا احد يعرف بالتأكيد متى تصل الرحلات. خاصة في يوم جميل كهذا. اتمنى ان تكوني على معرفة بما انت في صدده، ولا اتعجب من معارضة دايفيد لهذه النزهة على متن الطائرة الصغيرة، لأنك بذلك، تجازفين بحياتك.»

نظرت سارة الى كيت وكأنها لا تصدق ما سمعت:«اجازف بحياتي مع لاري؟ الرجل الذي سجله خالٍ من اي حوادث...»

«سجله، هذا كل ما في الامر، ولكن لكل شيء أوان.»
«حسنا، على أي حال انا ذاهبة.» ولم تندهش سارة عندما لم تلقي عليها كيت تحية الوداع.
كانت سارة واقفة على العشب عندما هبطت الآلة الطائرة وتسارعت فوق العشب حتى توقفت.
قفز لاري، بعد لحظة من الطائرة، وهرع نحوها والحماس يعلو وجهه: «انه لرائع حقا، ان اراك ثانية. كدت ان افقد الأمل في ان تتصلي بي من اجل هذه النزهة، اما الآن...» خفف الدفء العاطفي في نبرة صوته من ألم جروحها وشعورها بالخيانة اللذين لا يفارقانها.
«هيا، تسلقي.» ساعدها لاري في تسلق الطائرة والجلوس في أحد المقعدين المثبتين على إطار من الألمنيوم، وخيل لسارة ان المحرك من خلال الصوت الذي أحدثه، هو آلة لجز الاعشاب برغم قوته التي توازي قوة المحركات الكبيرة. «ابتسمي.» اخرج لاري من جيب بنطاله آلة تصوير. ابتسمت سارة فيما كان يلتقط لها الصورة «اني التقط هذه الصورة، كي اؤكد لنفسي، فيما بعد، ان هذه النزهة كانت حقيقة وليست خيالا.»
تسلق لاري الطائرة وجلس في المقعد الآخر: «حسنا نحن جاهزان للتحليق.» وسمعت سارة صوتا خافتا من خلال السماعة التي وضعتها في اذنيها فيما كانا يرتفعان فوق الاعشاب.
لم تشعر سارة بالخوف عندما حلقا عالياً في الجو. والآن اصبح باستطاعتها ان ترى اشياء كثيرة في الاسفل، المساحات الخضراء الشاسعة، ومراعي الغنم المنتشرة

هنا وهناك، والأشجار الباسقة التي تغطي المنحدرات الجبلية. ثم وجدت نفسها تنظر الى بساتين البرتقال وفاكهة الكيوي، ومزارع الغزلان المحاطة بأسلاك عالية، ثم رأت منظر البحر المتماوج، فيما كانت اشعة الشمس المنعكسة على صفحته تتراقص وتتمايل، وشد نظرها الشاطىء الرملي الذي يمتد الى ما لا نهاية.
هبط لاري بطائرته فوق منطقة معشوشبة ومنبسطة، ثم مشيا فوق تلال رملية انتشر عليها العشب البحري، وشعرت سارة برذاذ ماء البحر يلامس وجهها واستنشقت رائحته المالحة.
قال لها لاري فيما كانا ينحدران باتجاه الشاطىء: «هل تبحثين عن مخبأ تبدلين فيه ثيابك، انظري حولك.»
نظرت اليه سارة متسائلة ثم ضحكت: «أوه. لقد فهمت الآن، ما كنت تعني.» اضافت بعد ان رأت شجرة بوهوتكوا العملاقة تعلو فوقهما مباشرة وتنحدر جذورها المكشوفة على الرمل، مثل الافاعي.
استدارت سارة بخفة خلف جذع الشجرة الضخم وشعرت بالارتياح للتخلص من ملابسها غير المريحة، مستبدلة بها المايوه الذي شعرت به بالحرية والانطلاق، وضعت ملابسها داخل فتحة في الجزع ولحقت بـ لاري الذي كان ينتظرها على الرمل.
لاحظت سارة ان المكان جميل بصورة لا تصدق عندما تأملت فيما حولها. سماء زرقاء صافية، بحر تتموج انعكاساته مثل تموج الالماس. ولم تشاهد إلا قلة من المتنزهين، الذي اتوا كي يستمتعوا بهذا الشاطىء

الخالي من أي عيب. ورأت في البعيد سابحين وعائلات تحتفل وهي متحلقة حول خيمة منصوبة او لاندروفر متوقفة على الرمال.

ورأت الكثير من طيور النورس تحلق فوق الامواج. أنتها خاطرة من حيث لا تدري. لو كان دايفيد معها هنا بدلا من لاري، دفعت سارة بعيدة عنها هذه الخاطرة السخيفة. ان دايفيد يمتع نفسه، في الوقت الحاضر مع لين، تذكري ذلك.

«تعالي معي.» امسك لاري بيدها وسارا معاً فوق الرمال الذهبية وغطسا في الزبد الذي تكوّن على طرف الشاطىء، وسبحا بعيداً.

شاهدت سارة، فجأة موجة عالية تقترب بسرعة نحوها. وفي لحظة، افقدتها قوة هذه الموجة توازنها. وشعرت انها تغطس تحتها الى اعماق المياه الزرقاء. وفيما كانت تتحرك تحت الماء على غير جدوى، امسكت بها يد لاري القوية وسحبتها الى سطح الماء. مسحت الماء عن عينيها، وتنفست بصعوبة، ودفعت بشعرها المبلل والمنسدل على وجهها الى الوراء.

استطاعت سارة، بعد وقت قصير، بتوجيه من لاري، السيطرة على توازنها في مواجهة الامواج العالية وتعلمت كيف تتزلق معها. واجها الامواج مرة بعد مرة بانتظار الموجة العالية التي تحملهما وتلقيهما على الشاطىء.

ان التلاعب على الامواج هو وسيلة جيدة، قالت سارة في نفسها في ما كانت تنتظر بين موجة وأخرى، للتخلص من التفكير بدايفيد وبمشاكساته. موقتا، على الاقل.

اخيراً، سبحا الى الشاطىء وارتميا على الرمال الحارة، وتركا للشمس مهمة تجفيفهما.

سوف اتذكر دائما هذا اليوم، عندما اعود الى انكلترا، فكرت سارة. الشاطىء المنعزل، وأشعة الشمس البراقة، والاسترخاء تحت السماء الصافية، وطعم الملح عندما يجف الماء عن جلدها. ولكان نهارها قد اكتمل لو كان دايفيد برفقتها... ما هذا الذي تفكر فيه؟

اسند لاري نفسه على مرفق يده وحدق بها قائلاً:«اعطيك قرشاً ثمنا لافكارك.»

«افكر في اشياء تافهة.»

قفز واقفاً وتسلق المنحدر:«إذاً. لن اتأخر عنك.»

راقبته سارة وهو يسير فوق التلال ويتخطى الرمال المتحركة بخفة ومن دون جهد.

عاد إليها حاملا معه صندوقاً من الكرتون، فتحه امامها بوقار وقال:«الغداء جاهز يا سيدتي.»

«انا لا اصدق عيني.» اختارت سارة سندويشاً وقالت:«لم اكن اظن انك وجدت وقتا، كي تجهز الطعام.»

اجابها:«هذا صحيح، لم يكن عندي الوقت.» وناولها عصير الفاكهة المثلج»لقد حدث كل شيء بسرعة، هذا الصباح، ولكن والدتي هرعت لنجدتي.»

«والدتك؟» لم يخطر ببال سارة بطريقة ما ان لاري يقيم مع عائلته.

عندما انتهيا من الطعام، غطسا مرة ثانية في البحر وسبحا الى البعيد، حيث المياه عميقة، وانتظرا الهجوم التالي للموج العالي كي يحملهما الى الشاطىء. عادا

الى الشاطىء بعد فترة وارتميا على الرمال مستلقين على ظهريهما فيما كانت اشعة الشمس تلفح وجهيهما.
ولم تصدق سارة، عندما نظر لاري الى ساعة يده واخبرها عن الوقت، كيف انقضى كل هذه الوقت من دون ان تشعر بمروره؟
استرخت سارة بشعور من الراحة، وكانت على وشك ان تغفو عندما أحست بلمسة فوق شفتيها. فتحت عينيها وشاهدت لاري منحنياً فوقها.
«لا تفعل.» تملصت منه بحركة سريعة وقفزت واقفة على قدميها.
حدق بها لاري، وعيناه تنطقان بالدهشة والغضب: «لقد ظننت انك معجبة بي.»
«انا معجبة بك، بالطبع، انه فقط...»
تغير لون عينيه، دفعة واحدة، وبدا عليه التفكير بعمق.
قال: «هنالك رجل آخر في حياتك، اليس كذلك؟ رجل ما في انكلترا ينتظر عودتك إليه وهو يعد الأيام بفارغ الصبر...»
ضحكت سارة من هذا الاحتمال: «ولكني لا اعلم بوجود مثل هذا الشخص.»
تابع لاري بإصرار: «إذاً رجل ما، هنا؟»
«كيف يمكن ذلك.» ولسبب ما لم تستطع سارة ان تنظر في عينيه وأشاحت بنظرها عنه فيما كانت صورة معينة تستولي على ذاكرتها... دايفيد، بجسمه المتناسق، وسمرته الجذابة وابتسامته التي تستطيع ان تفعل الاشياء بعواطفها برغم القرارات التي اتخذتها

بأن لا تسمح لنفسها التأثر بها الى هذه الدرجة.
قال بصوت خافت: «طالما الفرصة متاحة لي.»
تحول لاري ثانية الى مرافق مسل وغير متطلب عندما رجعا الى الطائرة عبر تلال الرمال. كانت الشمس على وشك الغروب عندما ظهر لهما الكرم من الاعلى.
وبعد دقيقة، سمعت سارة حفيف الهواء على الاشجار والمنازل والسيارات فيما كانت الطائرة تهبط متسارعة على الارض.
ساعدها في النزول من الطائرة، وودعته بسرعة، فيما كانت التلال خلفها تكتسب لون الغروب الارجواني.
«انتظري.» وضع لاري يداً على ذراعها وأوقفها: «هل تقبلين بالذهاب معي ثانية؟ وهل ستتصلين بي في أقرب فرصة تجدين بها نفسك حرة من العمل؟»
اجابته سارة ضاحكة: «لقد فعلت هذا، ألم افعل؟»
بعد ذلك القى لاري التحية وغادر.
حين استدارت رأت ديفيد واقفاً بقلق يتأملها وهي تتقدم نحوه.
سار إليها وهو يقول: «كنت قلقاً عليك لكن من حسن حظك انك عدت سالمة. كيف خرجت معه بعدما منعتك عن ذلك؟»
اجابته: «لم يكن لدي عمل اليوم والطقس جميل والشمس مشرقة، فاحببت الخروج والتحليق بالطائرة، لكن الآن لا بأس، فقد عدت بسلامة.» هذه المرة... لا يمكن ان تسيء فهم هذه التعابير التي تنم عن شعوره بالراحة لعودتها سالمة.

مرر يده على خصلة من شعرها:«لا تفعلي ذلك ثانية.»
حدقت سارة به متعجبة. لماذا يتفعل وكأن عودتها سالمة تعني له الكثير. الكثير جدا. ولكن بالطبع، ذكرت سارة نفسها بعد لحظة، قلق لأنه لا يريد ان يخسر مساعدته في الكرم، وخاصة فتاة تهتم كثيرا بانتاج الشراب.
عادت سارة عن تأملاتها وتابعت الاصغاء إليه:«لقد وجب علي الذهاب مبكرا هذا اليوم، صديقة لي...» لماذا يخبرها عن لين «... جاءت على غير موعد. لقد تزوجت بهدوء من رجل قابلته في رحلتها الاخيرة الى الخارج. لقد عرفا بعضهما لوقت قصير ولكنها اخبرتني انهما متفاهمان جدا، على اي حال، قرر زوجها ان يترك عمله في انكلترا كمحاسب، وينشىء هنا، في نيوزيلندا كرم عنب، ويجرب حظه في صناعة الشراب، زوجها يملك رأس مال قليل وقد عثرا على قطعة ارض في الجنوب قد تكون مناسبة بما عليها من منافع وبيت. وكانت معروضة للبيع بالمزاد، هذا اليوم. ولم يبق عندهما الوقت. لهذا تركا لي امر الكشف على الارض وفحص ملاءمة تربتها ومناخها لزراعة العنب، ومدى تعرضها للشمس وكل ما يستتبع ذلك. وجدت ان الارض صالحة للإستثمار ومن النوع الذي كانا يسعيان إليه. وقد اخبرتهما ان يشتريا الارض.»
«أوه.» غمر سارة احساس مفاجىء وغامض من السعادة.
تابع دايفيد:«ثم عدت الى البيت بأسرع وقت ممكن. لأجد انك ذهبت مع لاري.» نزلت غشاوة على وجهه وركزت

على كلامه كي تستطيع سماع صوته الخافت:«لقد كان يوما شاقا وعندما تأخر الوقت... هل لاحظت ان هذه الطائرة بمحرك واحد فقط، وإذا تعطل...؟»
ابتسمت له بثقة:«ولكنه لم يتعطل. اخبرني، هل اتت رحلات سياحية في غيابك؟»
«حسبما اخبرتني كيت، رحلتان فقط.» هز كتفيه بعدم المبالاة:«سيرجعون إذا كان الشراب يهمهم.»
هل الذي يتكلم معها، هو فعلا دايفيد؟ ما تكاد سارة تستطيع ان تصدق اذنيها، ثم قالت وهي تشعر بالضياع:«إذا، انت لا تمانع إذا اخلدت للراحة الآن؟»
بدت عيناه اكثر رقة:«أمانع؟ انا لا امانع بأي شيء بعد ان عدت سالمة لي.»
قفز قلبها عدة قفزات ثم استقر. غبية! انبت نفسها. لو اتت هذه الكلمات من أي رجل آخر، لكانت حملت مغزى عاطفيا، ولكنت اتت من دايفيد... انه يهنيء نفسه لأنه لم يخسر عاملة ممتازة.
اثار هذا التفكير غضبها ولمعت عيناها الخضراوان، قالت بصوت مرتفع:«لم اكن اعرف اني مهمة لك الى هذه الدرجة؟» وبعد دقيقة، اصبحت على استعداد لدفع اي ثمن كي تسترجع هذه الكلمات. لم يزعج نفسه بالرد عليها بل اكتفى بالنظر إليها بصمت وبتعابير لم تستطع قراءتها. غمرتها الحيرة وتمتمت:«من الافضل ان اخلد الى النوم.» وهرعت مبتعدة.
استمرت في التفكير بدايفيد وهي في طريقها الى الكوخ. لا شك انها تخيلت هذه الرقة في مشاعره

نحوها. وعندما دخلت الكوخ، احست فجأة بالفراغ، وغير واعية حيال اي شيء. لو فقط... فجأة... ضربتها الحقيقة، وكأنها لكمة عنيفة. انها تهيم برجل لا يمكن ان يبادلها الحب، ولا شك انه عندما يعرف حقيقة وضعها هنا، سوف يحتقرها وينبذها. ولكنه لن يعرف.

لماذا لم تتبين هذه الحقيقة من قبل؟ ان دايفيد يعني لها الكثير، انه حياتها. ومع ذلك لم يبق لها الا اسابيع قليلة قبل ان ترحل من هنا الى الابد.

اخذت اطراف الصورة تتوضح في مخيلتها. الايام الرائعة التي فقدت جمالها بسبب غياب دايفيد عن الكرم. ثم سعادتها المفاجئة حين تشاهد سيارته تتوقف امام المخزن عندما يعود. ان تراه، ان تكون معه، ان تعمل الى جانبه، اصبح الآن كل عالمها. وهي لم تكن مع دايفيد غير فتاة مشاكسة وموظفة صعبة رغم انها تتعلم بسرعة ومخلصة لعملها.

اجتاحت موجة من الالم قلب سارة، لو كان عندها شيء من الكبرياء واحترام النفس لحزمت امتعتها وعادت الى انكلترا على متن اول طائرة مغادرة. ولكن المشكلة، فكرت ببرود، انها لا تتمتع بهاتين الصفتين. في الوقت القصير الذي بقي لها من عطلة العمل في الكرم ان تستطيع تحمل فراق دايفيد حتى ليوم واحد. المهم ان تبقى بالقرب منه. كم هي غبية.

الفصل الثامن

تقلبت سارة في فراشها، تلك الليلة، وجفاها النوم. كانت افكارها تتصارع وصورة دايفيد لا تفارق مخيلتها. انها تحبه وتهيم به. وأي شيء صغير منه يعني لها الكثير. شعره الاسود المجعد، وعيناه الداكنتان وابتسامته، الابتسامة التي أسرت قلبها وجعلتها تنسى كل شيء آخر في العالم. وحتى انتحالها شخصية فتاة اخرى، وقد بدا لها حينذاك انه خداع لا ضرر منه، احتل اهمية يائسة في حياتها.

لو توجد وسيلة ما، تستطيع معها الاستمرار في البقاء هنا، حتى ولو لم يعرف حقيقة شعورها نحوه. ان تعترف له بكل الحقيقة وتوضح له انها كانت تحت تأثير اعتقاد خاطىء، وتأمل في تفهمه. هل يوجد بعض الأمل مع دايفيد العصامي والفخور والتزامه العميق بتحسين الكرم الذي عمله له باخلاص وبنى له سمعة كبيرة في عالم الصناعة. لا، إنه لن يسامحها ابدا كذبتها وانتحالها شخصية اخرى. اسوأ ما في الأمر، ان يعتبرها محتالة، تسللت الى الكرم كي تتحقق من مدى اخلاصه وأمانته.

ما الذي يجب ان تفعله؟ الحل الامثل هو ان تترك الكرم، فورا، ولا تعود إليه ابدا. هذا الحل يوفر عليها الألم من رؤية الخيبة في عيني دايفيد. غمرتها موجة من البؤس، لا، انها لا تستطيع ان تفعل ذلك.

باستطاعتها ان تطلب من المحامين في لندن ان يرفعوا من راتب دايفيد كي يستمر في العمل ويدير صان فالي لحسابها. ولكن هذا الحل لن يخفف من ألم الفراق، وشوقها لأن تكون معه، انها تحبه، حتى ولو لم يبادلها... ابدا... ابدا الحب.

خلدت الى النوم، بعد حين، واستيقظت في ساعة متأخرة من الليل على صوت ضربة قوية على السطح، وصوت اغصان تتكسر، لا شك ان الذي احدث هذه الاصوات، لصوص يحاولون الدخول الى الكوخ.

بحثت سارة بأصابع مرتجفة عن مفتاح النور قرب السرير ولكن بدلا من ذلك، ارتطمت يدها بالمصباح ورمته ارضا. سمعت خبطة اخرى، من داخل المنزل، فيما كانت تنزل عن السرير مرتبكة وشعرت بوجود شخصا ما مر قربها في الظلام. لم تدري كيف بدأت الصراخ الهستيري: «النجدة! النجدة.» تملكها الرعب واستمرت بالصراخ وهرولت عبر غرفة الطعام، ومن خلال الباب الخلفي الى الخارج. ثم ركضت فوق العشب الندي باتجاه المنزل الكبير المضاء، ووجدت نفسها في احضان رجل كان يسرع لملاقاتها.

«دايفيد! اهذا انت؟» تنفست الصعداء وأحست برجفة عنيفة تعتري جسمها مما جعلها تتعلق بشدة بذراعه. قال دايفيد وهو يحتضن جسمها المرتجف: «هدئي من روعك. ما الذي حدث؟»

تنهدت بعمق واستطردت: «يوجد شخص ما في الكوخ. لص، لصوص، انهم يحطمون كل شيء!» قالت وهي لا

تزال ترتجف فيما جزء منها اخذ يشعر بالأمان بفعل التصاقها بذراع دايفيد: «لقد ارتطم احدهم بي في الظلام.»

«سأتحقق من هذا الأمر.» لم يبد عليه الاهتمام الزائد، فكرت سارة بحيرة، ألم يخبرها ان الشراب قد سرق عدة مرات، من متجر الزجاجات، في الماضي؟

نادته: «كلا، لا تدخل الكوخ. إنهم مجانين، انهم يحطمون كل شيء، لا شك انك سمعت كل هذا الضجيج ومن المحتمل ان يكونوا مسلحين.»

لاحظت بوادر ضحكة على وجهه: «انا اشك بذلك.»

همست متلعثمة: «ما هو الشيء الذي يضحك؟»

«ستعرفين ذلك، بعد لحظة.»

ابتلعت ريقها، ونظرت إليه باتهام: «انت لا تصدقني، اليس كذلك؟»

«بالطبع، انا اصدقك، ارتاحي يا سارة، لا داعي للخوف. تخرج قرود البوسوم من حين لآخر في الليل من الغابة وتتسلق سطوح المنازل، وتعبث فسادا، وقد يسقط احدها داخل المدخنة ويثير الرعب في نفس اي شخص يكون نائما، حينها، في الكوخ. إذا حشر احد هذه القرود في زاوية، يفقد صوابه تماما، ويحطم كل شيء تطاله يداه في محاولة مجنونة للهروب. وعندئذ تنزل مخالبه الحادة الى الساحة. انها الحالة الوحيدة التي يصبح فيها مؤذيا ولكنها في العادة تخاف من الناس اكثر من خوف الناس منهم.»

«قرود البوسوم.» لم تشعر سارة، قط بمثل هذا الخجل.

صرخت مرتاعة وأقامت الدنيا وأقعدتها بسبب... ابعدها دايفيد عنه قائلا:«سوف اريك، تعالي.»

تنحت جانبا وهي تشعر بالحيرة ولا تزال تشعر بأثر التصاقها بذراع دايفيد. وتعثرت برداء النوم الطويل والمشبك الذي التف حول قدمها الحافية، ووجدت سارة نفسها، في لحظة، وقد حملها دايفيد بين ذراعيه واتجه بها الى الكوخ عبر الممشى الى باب غرفة الطعام المفتوح، وضعها بلطف على الاريكة ثم أدار مفتاح النور.

«جهزي نفسك للمفاجأة.»

انتشر النور في الغرفة، وتنفست سارة بعمق ثم اتسعت حدقتا عينيها من جراء الصدمة التي اصابتها وهي تشاهد الخراب حولها، الأواني الخزفية المتكسرة، تناثرت قطعها على الارض. ووعاء الزهور المقلوب على الطاولة فيما سالت مياهه على السجادة. ورأت الغبار الاسود المنبعث من مدخنة المدفأة يغطي كل زاوية في الغرفة.

ضحك دايفيد وقال:«هؤلاء هم لصوصك... او احدهم.» وهو يشير الى الحيوان الذي سقط من داخل المدخنة على الغبار المتراكم في المدفأة ثم انطلق صائحا، مرتطما بهما، الى الخارج عبر الباب المفتوح.

«ابق حيث انت، وأنا سأقوم بعملية التنظيف، ثقي بي، لقد اعتدت القيام بهذا العمل.»

جلست سارة على الاريكة ووضعت قدميها تحت رداء النوم الطويل وتمتمت:«اشكرك.» وللمرة الأولى، لم تجد الرغبة في معارضة أوامره. لقد انهار دفاعها بأكمله في مواجهة نظرة عينيه العميقة، بالإضافة الى انها وجدت

متعة في مراقبته وهو ينظف الغرفة من الغبار، ويكنس قطع الزجاج المكسور، ويمسح الماء عن الطاولة. ولكنها، بعد دقيقة، تذكرت حقيقة الموقف بينها وبين دايفيد وأحست بطعنة في قلبها.

«لا تبتئسي.» لاحظت سارة ان نظرته العميقة قد وقعت على شفتيها. ثم تابع:«سيبدو كل شيء جديدا، هذا الصباح.»

«انا اعرف ذلك.»

حاولت سارة ان تبتسم، ولكن دايفيد لاحظ الغشاوة التي انسدلت على تعابير وجهها، وجلس الى جانبها على الاريكة. «ما المشكلة.» وضع يده على ذقنها ورفعها قليلا برقة، فيما تلاقت نظراتهما، وأضاف:«هل ارتكبت شيئا بحقك؟ إذا كان ذلك...»

انطلقت الكلمات بعفوية من فمها بفعل عواطفها المكبوتة:«لا، لا. ليس منك يا دايفيد، ليس ابدا.»

ارتمت سارة، في اللحظة التي تلت، بين ذراعيه، فيما دايفيد يردد:«احبك يا سارة، لقد احببتك من اللحظة الاولى التي وقع فيها نظري عليك، وتمنيت هذه اللحظة من ذلك الحين...»

ما كادت سارة تسمع صوته الخشن يتلفظ بهذه الكلمات حتى همست سارة:«انا احبك، ايضا، يا دايفيد.» وتجاوبت مع عواطفه. «سوف احبك دائما.»

«يجب ان نخطط للمستقبل يا حبيبتي يا حياتي، وكبداية...» توقف عن متابعة الكلام ثم استطرد:«... يجب ان تلغي تذكرة العودة الى

انكلترا فوراً، من الآن وصاعداً نحن زوجان، سارة.»
مضى وقت طويل قبل ان تستطيع سارة ان تفلت من بين ذراعي دايفيد. هنالك امور يجب ان تقال، انه يحبها، حبا عميقا بامكانه ان يتخطى جميع العقبات، ولأنه يحبها، سيتبين له، لاحقا انها لم تكن تريد خداعه وهي لم تعتقد ان ما فعلته له اهمية. وقد تصرفت بعفوية واعتبرتها، حينذاك، مزحة.
بدا دايفيد وكأنه على وشك الدخول الى افكارها: «لقد انتهت الى غير رجعة فترة المشاكسات وسوء الفهم بيننا. وسنكون معا على الدوام.»
رددت سارة كلماته الحالمة. ثم تجمدت دفعة واحدة، وشعرت بالبرد يسري في جسمها. تملصت منه وقالت بتردد:«دايفيد، هناك امر يجب ان تعرفه، انه مهم جدا...» تمنت سارة في نفسها، ارجو ان يتفهم، ولا يتركني احطم كل ما هو جميل في حياتي الآن.
قبل دايفيد رأس انفها برقة وقال بصوت عاطفي متهدج:«ليس هناك من امر مهم كفاية، كي لا نستطيع تأجيل البحث فيه.»
«ولكنه بالفعل امر لا يحتمل التأجيل، لا يحتمل...» تلاشى صوتها وهي تحاول العثور على الكلمات المناسبة، اخيرا قالت:«انه امر حدث في انكلترا.»
شدها إليه وقال:«انسي هذا الأمر، الآن. انت ترتجفين، ليس هنالك ما تخافينه.»
ولكن الأمر الذي تخافه موجود فعلاً:«انت لا تفهم الوضع.» وتعلقت بعفوية، بذراعه.

وضع دايفيد اصبعاً على فمها وأسكت كلماتها المتلعثمة:«غداً، سيكون لدينا الوقت الكافي كي نخطط لكل أمر.»
شعرت سارة ان نبرة صوته العميقة تأججت بالعاطفة. «اما الليلة، فهي لنا يا حبيبتي، ويجب ان نتمتع بها.»
استيقظت سارة في ساعة متأخرة في الصباح، ممتلئة سعادة وفرحاً. انها ودايفيد يحبان بعضهما البعض وسعدت نفسيا بهذا الواقع، لأنه اصبح بمستطاعها ان تخبره عن خدعتها الغبية، وهي واثقة من انه سيتفهم، انها تعرف انه سيذهل عندما تخبره، ولكنه، بعد ان توضح له جميع الملابسات سيسر ويشكر القدر الذي حقق أمله في ان يحظى بامرأة تعمل الى جانبه في صان فالي، ترعاه وتحبه وتشاركه الاتراح والمسرات.
لم تتناول سارة طعام الافطار، لقد افقدتها السعادة الكبيرة التي تشعر بها كل شهية للطعام، وكل ما تتمناه في هذه اللحظة، ان تشاهد دايفيد وتتمتع بلمعان عينيه عندما ينظر إليها.
اخذت حماماً ساخنا، وارتدت قميصاً قطنياً بلون زهرة الليك وبنطالا ابيض اللون، وانتعلت حذاء من القماش الابيض.
هرعت سارة، تحت اشعة الشمس البراقة، الى مخزن الشراب، ولكنها لم تجد إلا بول هناك يحاول ان يضع ملصقا على زجاجة من منتوج الموسم الجديد.
حيت سارة بول:«صباح الخير.» وهي تشعر ان السعادة واللهفة تفوران في داخلها، وتجعلان من الصعب عليها

استطيع ان اصمد في وجه السنوات القادمة المرهقة. وسأبرهن له عن استطاعتي ذلك. ان دايفيد هو صنف من الرجال، يجعل اصدقائي على استعداد للتضحية مقابل العمل عنده في العطلة الصيفية. انه مستقيم، لا يحب التلهي وإذا قال دايفيد شيئا فهو يعني ما يقول.»

وافقت سارة بصمت على جملة بول الأخيرة، فيما كانت تلتقط منشفة صغيرة كي تنشف الفناجين والأكواب، ثم تابعت الاصغاء الى حديث بول.

«وقد قال دايفيد ايضا، انه يجب ان امسك الخيط من أوله وأتعلم كل ما استطعت عن هذه الصناعة خلال العطل الصيفية. وقد سره اني حصلت على رخصة قيادة السيارات، لأني استطيع مساعدته في نقل الطلبيات الى الزبائن. وقال ايضا اني استطيع ان اساعده في مجالات اخرى مثل وضع الملصقات وغسل الزجاجات وأشياء اخرى مثل ذلك. كما استطيع ان اصرف قليلا من الوقت في المخزن. أوه لا استطيع الانتظار حتى يحين الغد وأبدأ بالعمل.»

غدا! شعرت سارة بالبرد يسري في عروقها. المخزن، وضع الملصقات وهي عندها ايضا إجازة سوق دولية. ولكن دايفيد لم يطلب منها القيام بهذه الاعمال. وهي لم تتحدث بشأنها معه. هل هذا يعني ان الفتى وهو احد أفراد العائلة سيحل مكانها في الكرم؟ هل هي تخطت الحدود في تحديها لمطالب رئيسها المتسلط؟ وأصبح من المحتمل ان يستبدلها! بهذا الفتى المتشوق لتعلم صناعة الشراب؟ وهو يعتبر دايفيد مثاله الأعلى مع انه

لم يقابله إلا في فترات قصيرة ومتباعدة ولم يعرفه جيداً. لا شك ان دايفيد ناقم عليها جداً لعدة اسباب، ولكن ان يستبدلها، وغمرها فجأة شعور بالضياع، اعياها.

«انت واقعة في الحب من دون شك.» انتبهت سارة عندما سمعت هذا الكلام من باتي، ذات الوجه الضاحك: «لقد جففت طبق السلطة ثلاث مرات متتالية، وإذا كان هذا بسبب تأثير كيفن عليك...»

«تبدين مرهقة.» رمقت كيت سارة بنظرة حادة عندما لاحظت توتر اعصابها: «لقد اشتغلت طول النهار فيما الباقين تمتعوا بالحفلة...»

اوقفت سارة بسرعة، تدهور معنوياتها وقالت: «ولكنني متعت نفسي ايضا، وكان رائعا حقا، ان اعزف وأغني خلال الحفلة...» توقفت عن متابعة الكلام عندما شاهدت دايفيد يقف عند باب المطبخ المفتوح وبدا عليه انه فرح بكلماتها الاخيرة. اصابها الهلع، في ذات اللحظة، وتمتمت بصوت خافت: «لقد آن الأوان كي اخلد الى النوم.» رمت المنشفة التي بيدها على الارض، وتخيلت للحظة ان دايفيد كان على وشك الوقوف في طريقها، لكنه افسح لها المجال كي تمر. وهرعت مسرعة الى الخارج وطواها سكون الليل المظلم.

شعرت سارة بلمسة على ذراعها قبل ان توشك على الوصول الى كوخها ورأت دايفيد يسير الى جانبها. لم تسمع خطواته عندما أتى من خلفها لأنه سار على العشب الندي.

قال بنبرة مفعمة بالحماس: «عندما تعزفين على الغيتار،

ان تتصرف على طبيعتها. سألت بول: «هل رأيت دايفيد هذا الصباح؟» وفكرت في نفسها، حتى نبرة صوتها تفصح عن مشاعرها. وهل بمستطاعتها ان تخفي السعادة التي تعتريها بمجرد ان تذكر اسم دايفيد؟

اجابها بول وهو منهمك في انهاء ما كان بصدده، ولم يبد عليه انه لاحظ حالتها النفسية: «لحظة من فضلك. لقد ذكر شيئاً عن مكالمة هاتفية تلقاها من مستوردين اوروبيين. لقد وصلوا نيوزيلندا لتوهم ويريدون مقابلته.»

«انا مسرورة لأنك اخبرتني.» ارتاحت على صندوق خشب فارغ وراقبته مبتسمة. بامكان سارة اليوم الابتسام لأي شخص تقابله. وبدا أنها لن تستطيع اليوم الاهتمام بأي عمل لأن اعصابها مشدودة بفعل السعادة المجنونة التي تشعر بها. تمالكت نفسها، بعد لحظة، وقالت: «سأتلهى بدوزنة اوتار الغيتار.»

قال لها بول متحمساً: «انا املك غيتاراً، ايضاً. هل تعطيني بعض الدروس في العزف، طالما انا هنا؟ سوف ادفع لك اجرا من راتبي.»

ضحكت سارة بفرح وقالت: «لا مانع عندي.» انها تشعر اليوم بالرغبة في مد يد المساعدة لمن يطلبها. لم تعرف ان بامكانها الاحساس بمثل هذه السعادة، اضافت: «بامكانك استعمال غيتاري، انا اعزف عليه احياناً ولكنه ليس ملكي، فعلاً. ولا اريد منك اجرا على هذه الدروس.»

«شكراً جزيلاً، يا سارة.» احست سارة بالدفء والاخلاص يشعشان من نبرة صوته.

«لا عليك، هل تريد ان اساعدك في وضع الملصقات؟ اعرف طريقة سهلة لوضعها. انظر الى ما افعله.» وضعت الملصق على زجاجة الشراب بأصابع ثابتة ثم تبعها بول حسب ارشاداتها.

«يجب ان اذهب.» اخبرت بول عندما شاهدت من خلال النافذة المفتوحة دايفيد يشتغل في اسفل المنحدر بين العرائش. تسارعت نبضات قلبها، ولم يعد باستطاعتها الانتظار اكثر. بعد ان قضت معه اجمل ليلة في حياتها، كي تحدق في عينيه الدافئتين.

وقفت وهرعت الى الخارج وركضت على المنحدر العشبي الذي يقود الى العرائش. وقبل ان تصل بقليل، خرج دايفيد من تحت عريشة واتجه نحوها، ورأت كما توقعت، عينيه الداكنتين تضيئان بالدفء والحب. وضع ذراعه بخفة حول كتفيها وانحنى عليها وعانقها. خاطبها ممازحاً: «انت لم تنسي الليلة الماضية.»

اصطنعت سارة الدهشة والأسف: «الليلة الماضية، هل تعني قرود البوسوم؟»

رد على ممازحتها له: «ليس تماماً.» وسرت الحياة، دفعة واحدة، على تعابير وجهه. «عندنا الكثير من الامور التي يجب ان نخطط لها مستقبلياً. وسوف نعمل الى جانب بعضنا البعض هنا في الكرم. هذا... إذا لم تغيري رأيك في مجرى الامور، هنا. هل تعرفين ما اعني؟ انه التقليد المتبع في صن فالي، رجل وامرأة يعيشان على املاكهما ويعملان جنباً الى جنب.»

نظرت سارة إليه، بكل الحب الذي يتدفق من عينيها

وأجابت:«كلا، لم أغير رأيي.»
«هذا كل ما اريد معرفته.» ضمها بين ذراعيه وقبلها. عندما استطاعت سارة التفكير في وضوح قالت في نفسها، لقد حانت اللحظة المناسبة كي اخبره الحقيقة.
«احبك يا سارة.» اخذها دايفيد مرة ثانية بين ذراعيه وعندما احست بلمسته وشعرت بسعادته المتدفقة، خانتها الشجاعة ولم تستطع الكلام.
هذا دايفيد الذي لم تعرفه من قبل. ممتلىء سعادة وينظر اليها وكأنها كل وجوده. كل ما تمنته تحقق. انها واثقة من قوة حبه لها، ولكن لماذا تتردد في الافصاح عن حقيقتها؟ وأتاها الجواب على غير انتظار، لأنه رجل من الصنف الذي لا يخدع من يحب، فيما هي... وتسارعت الافكار السيئة الى مخيلتها، وهبطت معنوياتها الى الحضيض.
خيل لسارة وهما يسيران المنحدر معاً، ان كل ما حولها اصبح اجمل. الاشجار الباسقة، الازهار المتنوعة والمتلونة بالابيض والبرتقالي والارجواني. والسماء الزرقاء الصافية وأشعة الشمس والتلال. لقد وقع دايفيد في حبها وتحقق حلمها. ثم انسدلت مرة اخرى الغشاوة السوداء على واقعها، وانهارت معنوياتها. هل سيبقى على حبه لها، بعد ان تخبره الحقيقة؟
«لماذا تبدين بائسة؟» رفع نظره اليها وحاولت الابتسام في وجهه، ولم تفته الغشاوة التي كانت تغطي عينيها، وظهر الاهتمام، فجأة على وجهه:«اخبريني، عمّا إذا كان البقاء هنا يقلقك، بامكاننا ان ننتقل من هنا في

الحال، ونبدأ بزراعة كرم جديد في مكان اخر، في أي مكان يعجبك.» توقفا قليلا ونظرا الى بعضهما البعض ولم تستطع سارة تفادي نظرته المتسائلة.
سألها دايفيد:«هل ستفتقدين عمتك، ببقائك هنا؟ ام ان عمتك ستفتقدك، اسمعي باستطاعتك السفر مرة كل سنة لرؤيتها ورؤية اصدقائك القدامى، عندي فكرة.» رن صوته بالحماس:«بأمكان عمتك ان تأتي الى صن فالي وتقيم معنا. يوجد كثير من الغرف الشاغرة في المنزل. هذا، إذا شاءت المجيء. اخبريني عما يزعجك، وأنا كفيل بإزاحة ثقله عنك.»
«أوه، يا دايفيد.» تنفست سارة الصعداء. «هل ستفعل ذلك حقا؟» وقالت بتردد وبصوت مرتفع:«ان ما يزعجني هو...»
ألح عليها دايفيد:«اسمعي، بامكانك ان تثقي بي. مهما كان الامر، جربيني. انا...» تلاشى صوته. استدارت سارة الى حيث حول نظره ورأت سيارة فخمة تتوقف أمام المخزن. صر دايفيد على اسنانه وقال:«يا للهول، لقد كنت اتوقع وصولهم بعد الظهر وليس الآن. انهم مستوردوا الشراب الذي جاءوا من اوروبا. يجب ان اذهب لملاقاتهم هيا، تعالي معي يا سارة.»
ترددت سارة وقالت:«لكنك لا تحتاج الي في لجنة الاستقبال.»
اجابها بهدوء:«سوف احتاج إليك. كل الوقت الذي بقي لي من حياتي كلها.»
كيف تستطيع ان تخبره الحقيقة، بعد الذي قاله؟ ولكن

هذا ما يجب ان تفعله، فيما بعد، ولن يفرق الامر شيئاً إذا تأخرت عن ذلك بساعة او اكثر. هل من المحتمل ان تشكل ساعة فرقا؟ سارا معا وتوجها للاقاة الزوار الذين انتظروا امام باب غرفة المكتب، وبعد وصولهما بلحظة، ترجل رجل آخر من السيارة، نحيل يرتدي قميصا صيفية خضراء وبنطالا ابيض. خيل لسارة ان وجه هذا الغريب مألوف، وحاولت ان تتذكره، اين رأت هذا الرجل، وهاتين العينين المرهقتين اللتين تعلوهما نظارات طبية؟ اين قابلته؟ وتذكرت بعد دقائق، وكاد ان يغمى عليها. انه الصحافي النيوزيلندي الذي قابلته على الطائرة عندما قدمت الى نيوزيلندا. تشنجت عضلاتها وأصابها الهلع. هل اخبرت هذا الرجل عن ميراثها وسبب قدومها الى نيوزيلندا؟ وقد كانت حينذاك تشعر انها في القمر من فرط سعادتها. من المحتمل انها اخبرته القصة كلها، لو كان باستطاعتها ان تتذكر! ثم لاحظت ان دايفيد يقوم بالتعريف عنها للزائرين:«سارة، اقدم لك...»

«مرحبا سارة، هذه مصادفة سعيدة ان نلتقي ثانية.» صافحها بحرارة. «هل تذكرينني؟ ماكس؟ لقد تقابلنا في الطائرة منذ عدة اسابيع. وقلت لك حينها اني سأبحث عنك كي اتحقق ماذا نتج عن روايتك التي اخبرتني بها وماذا ينتج عن مشروعك الجديد.» استدار نحو دايفيد ضاحكا:«صدقني، انت لا تحظى في كل رحلة بمقابلة فتاة اسعدها الحظ بأن ترث كرما يقع في الطرف الآخر من العالم. ليس كرما عاديا، فقط،

بل كرم له سمعة دولية في صناعة النبيذ الجيد.»

تجمدت سارة ونظرت بصمت الى دايفيد وعرفت ان تعابير الخوف والهلع التي تركتها الصدمة عليها اكدت لدايفيد صحة كلام ماكس. وكان من الواضح ان دايفيد تلقى صدمة عنيفة لأن تعابير وجهه تجمدت.

نقل ماكس نظره الحائر بين دايفيد وسارة وضحك ضحكة صفراء وقال بصوت خافت:«لقد كنت امزح فقط.»

هز دايفيد كتفيه:«لا عليك.» وغير الموضوع.

لاحظت سارة وهي تشعر بالدوران ان دايفيد استمر بتقديمها الى زواره وأحست ان الصوت يأتيها من بعيد:«هذه سارة سميث.» الطريقة التي كان ينطق بها اسمها الحقيقي كانت تقطع قلبها. «سارة عاملة موسمية عندنا واحدى مساعداتي.» استطاعت بطريقة ما، الابتسام والإيماء برأسها للآخرين. ولكنها في الوقت نفسه لاحقتها الافكار السوداء. لقد قدمها كسارة سميث وليس سارة سنكلير، الاسم الذي عرفها به. احدى العاملات الموسميات. من الواضح ان دايفيد يحاول اعادتها الى حجمها الطبيعي، الفتاة التي كانت لا تعني له اكثر من ذلك.

خيل لها، عندما تابع الحديث مع زواره، ان دايفيد بدا على طبيعته، ولكنها لاحظت بحزن، ان هيئة فقدنا لمعانهما وأصبحتا باردتين وقاسيتين، وتلاشت من صوته النبرة الساخرة. قاد دايفيد زواره الى غرفة الاستقبال ولم ينظر اليها ثانية.

نظرت سارة الى دايفيد وهو يبتعد عنها وسألت نفسها، ما الذي كانت تتوقعه، بعد هذا الخداع؟ لقد انتهى كل شيء، الاحلام الوردية والمستقبل الزاهر، وما تحتاج هو ان يحبها الى درجة يستطيع معها ان يسامحها على غلطتها، حب، اي حب؟ سيكون سعيدا إذا استطاع التخلص منها.

لاحظت سارة بعد حين ان ماكس لم يترك الغرفة مع الآخرين، وعندما تقدم نحوها، خيل لها ان خطوط التجاعيد على وجهه قد تعمقت. قال لها:«انا آسف يا سارة. لقد سببت لك الحزن والاحراج. لم يكن من الواجب ان اصدق كذبة بيضاء قالتها لي فتاة تحاول تمضية وقت الطيران الطويل. ولكنك اقنعتني برواياتك مع انها قصة اغرب من الخيال، وكنت على استعداد ان اقسم على صحتها. كان يجب علي ان اتبين الحقيقة. الخيال، ماذا استطيع ان اقول؟»

تمتمت:«لم تكن هذه غلطتك.»

«لا فرق...» القى ماكس نظرة، من خلال الباب المفتوح، على دايفيد الذي كان يتجه مع زواره الى الاقبية.

قالت سارة بيأس:«لا شيء يهم بعد الآن.» وغمرتها موجة من الحزن والألم.

تهدج فجأة صوته وقال:«لا تقولي لي ان ذلك صحيح، اعني القصة التي اخبرتني بها في الطائرة؟ انها صحيحة ولم تخبري دايفيد بحقيقة غرضك. اليس كذلك؟ وقد كان هذا الرجل الذي يشرف على الكرم، لا يعرف حقيقة المالك.»

اجابت سارة بصوت خلت نبراته من الانفعال:«ان قصتي حقيقية، وهو لا يعرف من...» تلعثم صوتها. «لم يكن يعرف حتى الآن، كنت اريد ان اخبره اليوم.»

سمعت صوتها وكأنه يصدر عن فتاة اخرى:«لم اكن اظن الامور قد تتطور على هذا الشكل، عندما وصلت الى هنا...» انهارت اعصابها وهي تتذكر آمالها وطموحاتها عندما جاءت من انكلترا، وتتذكر سعادتها البالغة بتطور الاحداث المثيرة التي غيرت مجرى حياتها.

طلب منها ماكس، وهو يصغي اليها باهتمام، وتفكير عميق:«استمري في الحديث.»

تنفست بعمق، لقد آن أوان الاعتراف، وعليها ان تعتاد ذلك. يجب عليها ان توضح الكثير من الأمور. اما دايفيد... قالت في نفسها، قفي عن التفكير بدايفيد.

«عندما وصلت الى هنا، وجدت نفسي في موقف لا احسد عليه، لقد طردتني عمة دايفيد وهي تظن، صواباً، انني سارة سميث.»

أومأ ماكس برأسه متفهماً:«لقد رفضتك لأنك المالك الجديد للكرم ولأنها تعتقد ان دايفيد احق بذلك، هذا التصرف طبيعي.»

استمرت سارة بسرد قصتها بصوت مرتجف:«اجل، شيء من هذا القبيل، على أي حال، كانت كيت على وشك ان ترمي بي الى الطريق، عندما تدخل دايفيد معتقداً اني فتاة جاءت رداً على اعلان نشره في الصحف ويطلب فيه فتاة للعمل في الكرم، لعدة اسابيع.»

«فهمت، وهكذا انتهزت الفرصة كي تبقي في صف فالي،

ويتسنى لك الكشف على الممتلكات وعلى كل شيء.»
أومأت برأسها:«لقد بدا لي ذلك سهلا، حينها، لأنني استعملت، لسنين طويلة اسما غير اسمي الحقيقي عندما كنت اقيم في انكلترا، والجميع بمن فيهم اقرباني عرفوني بأسمي المستعار، سارة سنكلير، وكل ما فعلته، اني انتزعت ملصق الخطوط الجوية النيوزيلندية الذي يحمل اسمي الحقيقي، عن حقيبة السفر. كان يجب ان استعمل اسمي الحقيقي على جواز السفر وتذكرة الطائرة. ولم اعتقد، حينها اني قد اسبب ضررا لأحد.»
تلاشى صوت سارة تدريجيا.
«لا شك ان دايفيد يتألم جدا الآن. لقد لاحظت وجهه عندما فضحت سرك، كان الاجدر بي ان اضرب نفسي.»
قالت سارة ببطء وبصوت يائس:«كان يجب ان افصح له عن الحقيقة قبل الآن، وكنت احاول ان افعل ذلك اليوم، ولكن الأوان قد فات.»
ظهرت، فجأة على تعابير وجهه الدهشة والندم عندما لاحظ من خلال نبرة صوتها اليائس وقرأ في تعابير وجهها الألم الذي تعاني منه:«هل تحاولين ان تقولي لي انك ودايفيد...»
أومأت برأسها وقالت:«اجل، نحن نحب بعضنا.»
نظر اليها بصمت لعدة دقائق وبعينين مليئتين بالعطف، ثم قال:«انه موقف صعب. هل بامكاني المساعدة باي شيء. اي امر على الاطلاق كي اصلح ما بينك وبين دايفيد؟»

هزت رأسها:«انت لا تستطيع، لا احد يستطيع المساعدة.»
حاولت سارة ان تعيد صوتها الى طبيعته:«ان قصتي هي واحدة من قصص الحب الفاشلة ولا يعني ذلك نهاية العالم.»
نظر إليها متفحصاً:«لو صدقتك، لكنت كذّبت عيني وأنا ارى آثار الصدمة على وجهك.»
«انها غلطتي... لقد بدت لي حينذاك فكرة جيدة.»
«وكان سوء حظي. ان اكون الشخص الذي فضح سرك.»
«كيف كان لك ان تعرف؟ على أي حال، سأعود الى انكلترا غدا، او بعد غد.»
قال ماكس بحسرة وتعابير الأسى تعلو وجهه:«هل انت متأكدة ان ذلك هو أفضل حل؟»
هزت رأسها:«لا تقلق من اجلي، سوف اتمالك نفسي وأستمر في الحياة.» ولكن الكلمات الشجاعة خرجت منها بصوت مرتجف:«على اي حال...» تنفست بعمق.
«... من المفترض ان اذهب الى غرفة الاستقبال، وأعزف على الغيتار خلال تناولهم وجبة الغداء.»
نظر ماكس الى اصابعها المرتجفة:«هل تستطيعين القيام بمثل هذا العمل؟»
ابتسمت سارة ابتسامة صفراء:«يجب ان اذهب، هذا عملي.» مشت في تمهل الى الخزانة وفتحت بابها وأخرجت الغيتار من داخلها.
ذهبا معا الى غرفة الاستقبال، واتخذت سارة مكاناً في زاوية الغرفة، وابتسمت لماكس الذي قال:«حظا سعيدا.»

لم تستطع سارة ان تنظر الى دايفيد عندما دخل مع زواره الغرفة، واكتفت بالانحناء على الغيتار والتلاعب بأوتاره. تلاشت اصوات الرجال عندما تناهى الى سمعهم اصوات عزفها، وبسبب براعتها بالعزف ومعرفتها التامة بالألحان، لم تجد صعوبة في الاستمرار بنجاح.

وجدت سارة نفسها، فيما بعد، تجلس على مقعد طاولتها في المكتب من دون ان تدري كيف وصلت. حاولت، وهي تشعر بالدوار، ان تشغل نفسها بالحسابات ولكن الارقام التي حدقت بها، لم تعن لها شيئا. قالت سارة في نفسها، وهي تشعر بالحزن العميق والألم، لو انها استطاعت ان تخبره الحقيقة بنفسها، وأوضحت له جميع الملابسات التي ادت الى خدعتها، لربما كان صدقها وسامحها. أما الآن...

مرت الساعات، على سارة ببطء، وأفاقت من افكارها لتجد ماكس يتقدم نحوها ويقف الى جانبها. ونظرت اليه بعينين مثقلتين.

«لقد انتهت مهمتي، والآخرون ينتظرونني في السيارة. لقد اردت الاطمئنان عليك قبل ان اذهب.»

حاولت الابتسام ولكنها لم تفلح. قالت «ساكون بخير حقا.»

قال وهو ينظر الى وجهها الشاحب: «لا يبدو عليك ذلك.» ولاحظ الألم الذي في عينيها: «انا آسف على ما انتهت إليه الأمور، ولا استطيع ان اضيف شيئا ما عدا كلمة الوداع والتمني ان نلتقي ثانية.»

هزت رأسها وترقرقت الدموع في عينيها. ان يكون هنا

مرة ثانية، ولن ترى صن فالي ثانية، وكل ذلك بسبب غلطتها الغبية.

رأت سارة، بعد ان ترك ماكس الغرفة، من خلال النافذة دايفيد يستقبل قادمين جدد، ورأت سياراتهم وشاحناتهم متوقفة امام مخزن الشراب. تمالكت سارة نفسها وهرعت الى المخزن وأصبحت على استعداد لخدمة الزائرين قبل دقائق من دخولهم مع دايفيد.

التقت نظراتها بنظراته الباردة وهو يعرف عنها: «هذه سارة ستقوم على خدمتكم إذا اردتم شراء الشراب. انها تعمل هنا.»

ابتسمت لهم: «ساكون سعيدة بمساعدتكم.» ونقلت نظرها المتعب فيما بينهم. وفي الوقت نفسه كانت تتسارع في افكارها الاحتمالات السيئة. لقد كان كلام دايفيد عنها قاطعا كالسيف. وأحست مرة ثانية انه يحاول بقوة ان يرجعها الى حجمها الطبيعي في صن فالي. اي ليست شخصا مميزا، بل فتاة عادية تعمل في الكرم. فتاة خدعته وخانته، وهذا ما قرأته في عينيه.

اسرعت سارة، في نهاية هذا اليوم المشحون بالاحداث، باقفال المكتب والعودة الى الكوخ. ألقت بنفسها على اريكة غرفة الجلوس واستسلمت لحزنها، وتركت الحرية لدموعها بعد ان حبستها طويلا.

رأت سارة، فيما بعد، الظلال تنسحب على النوافذ المشرعة وسمعت قرعا شديدا على الباب. هرعت، بعد ان مسحت دموعها، لتفتح الباب وهي تعرف تماما، من هو الشخص الذي يسمح لنفسه بهذا القرع العنيف على بابها.

وجدت سارة نفسها وجهاً لوجه امام دايفيد، عندما فتحت الباب. وألقى بظله من شمس الغروب عليها. وقد لاحظت الغضب الظاهر على وجهه برغم الضوء الخافت.

حاولت ان تجعل صوتها عادياً:«تفضل بالدخول.»

تجاهل دعوتها ووقف ساكناً، واضعاً يداً داخل جيب بنطاله الجينز. «انت سارة سميث.» وأحست انه يصفعها بكلماته:«الفتاة التي ورثت الاملاك هنا؟ أوه، لا تحاولي النكران، ان الشعور بالذنب باد على وجهك بوضوح.»

تلعثمت بالكلام بصورة مريعة:«اجل، انا سارة سميث، ولكن لا تخطىء الظن بي، لقد كنت، حقاً على وشك ان اخبرك الحقيقة هذا الصباح، لو لا...»

قاطعها ساخراً:«لو لا... كنت جبانة.»

قالت بيأس:«دعني اوضح لك.»

قاطعها بحركة من يده:«لماذا المزيد من الاكاذيب، لماذا لا تعترفين بانك خططت لكل شيء قبل مجيئك الى هنا؟ انا اهنئك على براعتك، وكنت على وشك النجاح بخطتك لولا ظهور رفيق سفرك المفاجيء. وافتضاح سرك. لقد كنت اعمى وغبيا، لأني ابتلعت خديعتك.»

رفت عيناها وهي تسمع نبرة الإهانة في صوته وشعرت سارة بالألم يعصرها، كان الاحرى به ان يقول لو لم اقع في حبك، لتبينت حقيقتك. قالت بصوت خافت:«كنت اريد ان اخبرك الحقيقة الليلة الماضية، ولكن...»

صرخ دايفيد في وجهها:«انسي الليلة الماضية.»

توسلت إليه بيأس:«ارجوك ان تسمعني.»

«لماذا؟»

جاهدت سارة كي تستطيع ان تتجاهل نبرته الفولانية. ثم تابع دايفيد:«وأنا اعرف تمام المعرفة ما سوف تقولين؟ من الذي وضع هذه الخطة انت ام المحامي حتى تتحققي من أمري؟ لماذا لا يأتي هذا الشخص الذي يدير العملية من وراء الستار الى نيوزيلندا ويحقق في الأمر؟ هل ظن ان نيوزيلندا البعيدة عن انكلترا بلد متوحش والناس فيها يرتكبون جرائم القتل بدون رادع وخاصة عندما يتعلق الامر بشخص اشتغل في الكرم سنين طويلة وكان الشخص الوحيد المسؤول عنه بعد ان مات صاحبه. كان من السهل عليه ان يزوّر في الحسابات ويختلس الاف الدولارات لو شاء ذلك. وربما طمع في حصة من الارباح بعد ان ارتفعت مبيعات شراب صن فالي وأصبح راتبه كمدير لا يكفي. انه الشخص المؤهل لإدارة العمل في الكرم. ولهذا يجب التأكد من أمانته واخلاصه. ولا داعي لان تخبريه من انت... لانك لن تحصلي على معلومات هامة إذا اعلنت عن نفسك. وهكذا من الافضل ان تذهبي مثل اي فتاة انكليزية اخرى تسعى للعمل في العطلة الصيفية. انه وقت القطاف في هذا الجزء من العالم. جربي هذه الخطة. ولا تتكري يا سارة هذا السيناريو.»

أصابتها كلماته كأنها طلقات من مسدس. وشعرت ان اتهاماته الباطلة تمزق احشاءها، وصرخت في وجهه:«كلا، هذا ليس صحيحاً...»

«هل انا على خطأ؟» دقت كلماته على اعصابها بقسوة: «تريدين القول، انك كنت مهتمة بمعرفة طرق الصناعة والتسويق وكل هذا؟ وانك اردت اتقان هذه المهنة كما اخبرتني.» اضاف متهكما: «حتى ولو كانت عندك اسباب خاصة بك...»

قاطعته سارة مرتجفة: «اجل، انا مهتمة بكل ذلك.»

«انا اراهن على ذلك، اخبريني، هل انت راضية من نتيجة عملك؟ هل عندك اي تحفظات على المدير... آسف، على المدير الموقت؟ آوه، لا تقلقي، سوف استمر في العمل حتى تجدي من يحل مكاني، ولن يصعب عليك ذلك وأنت تملكين كرما مزدهرا مثل كرم صان فالي.»

قالت سارة بصوت خافت: «لا احد يستطيع ان يدير الكرم مثلما تفعل، انت صن فالي، وصن فالي هو انت.»

اجابها بنبرة باردة خالية من اي انفعال: «انا مسرور لتقديرك جهودي.»

مما جعل قلبها يتقطع وحل الغضب، مكان اليأس والألم. لقد تبين لها صعوبة اقناعه فيما كل الأدلة ضدها. لمعت عيناها الخضراوان. سوف تجعله يصغي إليها، ان صدقها ام لا، واجهته بعنفوان وقالت: «لقد اسأت الفهم، لم احاول ان آتي الى هنا كفتاة عادية، عندما عرفت بأمر الميراث، فرحت كثيرا ولم استطع الانتظار طويلا كي آتي الى هنا وأبقى لأتعلم هذه المهنة وأسلوب الحياة في الكروم. لان ستيفن اخبرني الكثير عنها. وكنت اشعر حينها اني اعرف الكثير، من خلال حديثه، عنها. انا التي قلت للمحامي ان لا يخبرك

بقدومي، وكنت اظن ان مجيئي سيكون مفاجأة سارة للجميع...»

سألها بمرارة: «مفاجأة سارة، هل هذا ما تطلقين على هذا الوضع؟»

حصنت سارة نفسها عقلياً وتجاهلت المرارة في نبرته: «عندما وصلت، رأت كيت ملصق الخطوط الجوية النيوزيلندية على حقيبتي وتأكدت من اني الفتاة التي ورثت صان فالي. هذه الفتاة المريعة من انكلترا. هذا ما اطلقت علي، وكانت على وشك طردي من المنزل. وعرفت حينها، انني لن استطيع البقاء هنا تحت هذه الظروف ولو لليلة واحدة. ثم جئت انت وتدخلت ظانا اني فتاة جاءت للعمل. ومنذ اللحظة الاولى اردتني...»

توقفت عن الكلام ولعنت نفسها في سرها لأنها لا تعثر على الكلام المناسب. وعندما حاولت ان تصحح نفسها وقعت في الخطأ ثانية: «ولما وافقت على ان اعمل في الكرم، اغتنمت الفرصة. وقلت في نفسي حينذاك ان لا ضرر من خدعة بسيطة كهذه خاصة اني نويت العودة الى انكلترا في نهاية الصيف، فأين المشكلة إذا؟»

بقي دايفيد صامتا ولم يبد اي تعليق، وكان في صمته برود اشد وأقسى عليها من نظرته الغاضبة. ماذا يدور في ذهنه؟ الجواب بكل بساطة، انه يحتقرها.

فاقت من تأملها على نبرته الساخرة والمتهكمة: «لسوء الحظ، كشف صديقك الصحافي لعبتك، وإيفاء لحقه، فقد حاول المستحيل كي يغطي كذبك، وأنا لا ألومه...»

بالطبع، ولكنك تلومني.» احمرت وجنتاها وتطاير

الشرر من عينيها. «مهما قلت، فأنت لن تصدقني. أليس كذلك؟»

«ولماذا اصدقك؟» مرة اخرى هذه النبرة الساخرة التي تصيبها بالجنون.

تبين لسارة بوضوح انها مهما قالت ومهما حاولت افهامه، فلن يصغي إليها. ولكنها تمالكت نفسها وصممت على ان تكافح من اجل حبها حتى النهاية: «اي شخص سيفهم من مغزى حديثك، اني حقا تعمدت الإساءة إليك.»

«ألم تفعلي ذلك؟»

صرخت في وجهه: «كلا. وهذا ما احاول ان افهمك إياه، على اي حال...» واعترتها موجة من الغضب في داخلها ثم تلاشت في سرعة: «اريدك ان تأخذ الكرم والمال وكل شيء آخر ورثته عن ستيفن. وفي الحقيقة، كل هذا ملكك.» واستطردت بصوت منفعل: «لقد اعترافي الشعور بالذنب من ان توضحت لي حقيقة الامور هنا. لقد كانت غلطة وسوف اطلع المحامي في لندن على قراري واطلب منه تحويل الميراث لك، عندما أعود الى هناك.»

سخر دايفيد منها «أوه، فعلا. لا تعلبي معي هذه اللعبة. انها لن تمر علي، ليس بعد كل هذه الاكاذيب التي قلتها لي.»

صرخت: «حسناً، إذاً، لا حاجة بك كي تتحملني اكثر من ذلك. سأغادر الكرم بمجرد ان احجز مكانا على اول طائرة مغادرة، سأتصل بمكتب السفر اليوم وبقليل من الحظ سأكون في طريقي الى المطار، غدا.»

عاد الى نبرته الساخرة: «لن تفعلي، وانت تعرفين ذلك.»

حبست سارة دموعها ورفعت نظرها اليه متحدية: «لا تستطيع منعي.»

«بل استطيع، انا مازلت بحاجة إليك، يا سارة.»

قفز قلبها بجنون ثم عادت الى صوابها، كيف من السهل ان تعود الى احلام البارحة الوردية: «تحتاج إلي؟»

استطرد برقة: «احتاج إليك في المكتب. وفي الواقع لا تستطيعين ترك العمل قبل اعطائي مهلة اسبوعين. لقد اتفقنا شفهيا على ذلك، هل تذكرين؟»

«انا لا...» وتلاشى صوتها بفعل الحيرة التي اعترتها.

www.liilas.com Deprived of Freedom

الفصل التاسع

جهدت سارة، في صباح اليوم التالي، كي تتمالك نفسها. يجب ان تهتم بعدة امور، وان تقوم بعملها في الأيام الباقية. ولكن كيف سيمضي عليها هذان الاسبوعان وهي على ما هي عليه من حزن ويؤس، بسبب اضطرارها لترك دايفيد الذي تهيم به. يجب، اولا، ان تقابل كيت، فقد كانت تشعر ان دايفيد لم يخبرها بحقيقة وضعها، ولأسباب خاصة به، احتفظ بالسر لنفسه ولم يخبر احدا آخر.

وجدت كيت في المطبخ منشغلة بتحضير الكاتو. «صباح الخير، يا كيت.» اخذت نفسا عميقا وتدفقت الكلمات بسرعة، منها «جئت لأخبرك اني سأغادر الكرم بعد اسبوعين...» توقفت سارة عن الكلام وقد لاحظت ان كيت ترمقها بنظرة حادة بعد ان رأت جفنيها المتورمين.

سألتها كيت وقد اصابها الذهول لسماعها الخبر: «تغادرين؟»

حاولت سارة ان ترد عليها من دون انفعال: «اجل، سأغادر، انت تعلمين انا اعمل بصورة موقتة وقد امضيت فترة هنا، ولكن يجب ان اغادر، كي اهتم بأمر مستعجل هناك...»

لم يبد على كيت انها اصغت الى سارة، وقالت بصوت رقيق لم تسمعه سارة من قبل: «هل دايفيد يعرف بهذا؟»

تساءلت سارة هل ترتاب كيت بالحقيقة؟ وقالت بهدوء: «نعم، انه يعرف.»

قال بول باستياء، بعد ان اندفع الى داخل المطبخ: «ما هذا الذي تقولينه، يا سارة؟ لا يمكنك مغادرة صان فالي. لا يمكنك، وقد اعطيتني وعدا، بأن تعلميني العزف على الغيتار.»

اجابته سارة على غير وعي: «انا آسفة، يجب ان اعود الى انكلترا في اقرب وقت.» احست بالعطف عليه وهي تشاهد تعابير الخيبة على وجهه. «عندي فكرة سأعطيك دروسا مكثفة، درسا كل ليلة. ايوافقك ذلك؟ وهكذا تتعلم المبادىء الاساسية للعزف، ما عليك بعد ذلك سوى ان تتمرن حتى تحظى بمعلم جديد.» ولكنها كانت تقول في نفسها، لماذا لا اساعده في تعلم العزف؟ وهكذا يكون عندي ما يشغلني في الامسيات الباقية، ويخفف عني اللوعة والندم. نفضت عنها هذه الافكار وعادت لتصغي الى نبرته الطفولية.

تمتم بول: «حسنا، إذا كان ذلك السبيل الوحيد.»

جلست سارة الى طاولة المكتب وحدقت في الآلة الكاتبة التي أمامها، فيما الافكار المؤلمة تتصارع في رأسها. كيف تستطيع تحمل هذا العذاب، ان تكون بالقرب منه وتشاهده كل يوم، وتسمع صوته، وتحبه. امضت معظم وقت الصباح وهي تحاول ان تحصن وتهيء نفسها كي يكون باستطاعتها تحمل ألم لقياه عندما تفرض ظروف العمل ذلك.

مرت الأيام ولاحظت سارة ان دايفيد يمضي معظم

وقته خارج الكرم، هل هي تتخيل ذلك؟ هل هو يتجنب مقابلتها، عمداً؟ ولكن سارة فكرت ان ذلك مجرد تمنيات منها، فالشعور الوحيد الذي يكنه لها هو الاحتقار، ألم يقل لها بوضوح ان الشيء الذي يريده منها هو ان تختفي من حياته الى الابد؟

تسارع الوقت بصورة مخيفة ولم يبق عندها الا يومان فقط في صن فالي. وقد بدأت بحزم امتعتها ووضعت قمصانها الصيفية وسراويلها القصيرة في حقيبة السفر. لقد بقيت ملابسها على حالها ولم تستطع ان تضيف شيئاً عليها باستثناء شراء الفستان الاسود عندما ذهبت مع دايفيد الى المدينة. ولم تتحقق رغبتها في شراء ملابس صيفية من نيوزيلندا، لانها لم تلاحظ في البداية سعادتها في البقاء مع دايفيد وعدم رغبتها في مغادرة صن فالي للتبضع، حتى ولو ليوم واحد. احست بالاختناق، لأن هذا الشعور لا يزال على حاله. وضعت حقيبة السفر جانباً ودخلت الحمام كي تغسل شعرها او تعمل أي شيء يشغلها عن التفكير والشوق إليه. وجففت شعرها بعد دقائق.

قال لها دايفيد بنبرة جافة:«لا حاجة لان تعملي في اليومين الأخيرين. وسوف اقلك الى المطار، في الصباح الباكر.»

اجابته وهي تشعر بالاعياء والبؤس:«شكراً لك.»

اضاف دايفيد:«سوف اتصل بالمطار وأتأكد من ان الرحلة ستحصل في موعدها، لأن الرحلات تتأخر دائما عن مواعيدها.»

«اجل، بالطبع.» وتمنت في قرارة نفسها ان تتأخر طائرتها عن الاقلاع.

ارادت سارة في النهاية ان تودع بيل وباتي، فيما بدأت اوراق العرائش تكتسب اللون الذهبي ويغرب صيفها. بيل وباتي عادا الى مزرعتهما بعد زيارة قصيرة لأقربائهما.

رأت سارة، عندما وصلت المزرعة، باب منزلهما مفتوحاً على مصراعيه، ودخلت اشعة الشمس الى الصالون المفروش، ورأت باتي تقف وتلوح بيدها محيية ثم تقدمت لمقابلتها.

طبعت سارة قبلة على خد باتي وقالت وهي تحاول ان تبتسم ابتسامة مخلصة «مرحباً.»

قالت باتي من دون ان تنتبه للدوائر السوداء التي تكونت حول عينيها:«انه لممتع ان أراك ثانية، لقد ظننت انك لن تعودي ابدا الى المزرعة.» تقدمتها باتي عبر المنصة. «تفضلي بالدخول. عندي الكثير لأخبرك به.»

ارتمت سارة على كرسي مصنوع من القصب وسألت:«هل تشعرين بخير؟ وهل الجنين يحسن التصرف؟»

«أوه، نعم، انا على افضل ما يرام، ولكنه يركلني كثيراً في هذه الايام.»

رفعت سارة حاجبيها المثقلين بتعجب وقالت:«هو.»

«اجل، ان بيل متأكد ان المولود سيكون ذكراً، وإذا حدث ذلك، فسنطلق عليه اسم دايفيد ونحن متفقان على ذلك.»

«وإذا كان المولود بنتاً؟»

«لن تصدقي، سنطلق عليها اسم سارة.»

شعرت سارة بنبضة متسارعة في قلبها... وقالت بصوت مرتفع:«لا شك ان خيالكما ضيق ولولا ذلك لوجدتما اسماء اخرى غير هذين الاسمين.»

«لماذا لا نطلق اسمي ألطف شخصين نعرفهما على مولودنا. انت ودايفيد شخصان مميزان.»

قالت سارة وهي تحاول تغيير الموضوع بسرعة:«سأقوم اليوم بتحضير القهوة، انت بحاجة الى الراحة.»

اجابتها باتي:«سأوافقك على ذلك، ولا خيار لي في هذا الحر.» واسترخت على كرسيها، واستمتعت بالهواء الذي تحركه مروحة يد، امام وجهها.

وجدت سارة في المطبخ المطلي باللونين الابيض والازرق، خزانة من الطراز الهولندي مليئة بالفناجين وعلب القهوة السريعة التحضير. حضرت القهوة وعادت الى الصالون ووضعت الفناجين على الطاولة التي بينهما.

مالت سارة على باتي وقالت باهتمام مصطنع:«اخبريني كيف قضيت عطلتك، اين ذهبت، وماذا فعلت، وهل ذهبت لحضور أي عروض مسرحية؟ وهل استمتعت بهذه العطلة؟»

سردت باتي تفاصيل عن عطلتها:«لقد تمتعنا بكل لحظة فيها...» توقفت فجأة، واتهمت سارة وهي تضحك:«انت لا تصغين الي ما اقول.»

حاولت سارة أن يخرج صوتها هادئاً:«حقاً، انا اصغي.»

«انت لا تصغين وتعرفين ذلك، وقد لاحظت ان امرا يشغل بالك.»

ترددت سارة، ولفت بعصبية خصلة من شعرها حول اصبعها:«هذا سبب مجيئي لعندك، سأغادر صن فالي بعد غد الى انكلترا...» وحاولت تفادي نظرة باتي.«... وهذا ابكر مما كنت اتوقع.» حاولت إخفاء مشاعرها الحقيقية ولكنها عرفت من خلال نظرة العطف التي بانت في عيني باتي، ان ذلك لن يجدي.

قالت باتي:«سوف نشتاق إليك.»

اجابتها سارة:«وأنا كذلك.» وهزت رأسها، سوف تؤلمها الذكريات إذا عادت في المستقبل، خاصة ان عمر سعادتها مع دايفيد كان اقصر من عمر الورود. وتمتمت بصوت مرتفع:«سوف يأخذني دايفيد الى المطار، صباح الخميس القادم.»

«انا اعرف.»

اتسعت عينا سارة من الدهشة:«ماذا، وكيف عرفت ذلك؟»

«لقد وجدنا دايفيد بانتظارنا عندما وصلنا ليلة أمس كان في حالة نفسية رهيبة وأراد ان يخفف عن نفسه بأي وسيلة. لقد اخبرنا عما حدث بينكما، هو يشعر بالبؤس والندم بسبب الكلام الذي قاله لك، ولا يستطيع مواجهة ألم الفراق عنك الى الابد.»

انتعش أمل مجنون في عيني سارة للحظة ثم خبا دفعة واحدة، وقالت بهدوء:«انه يحتقرني... هل اخبرك من انا في الحقيقة؟»

«اجل، لقد اخبرنا كل شيء...»

«لم اتعمد ان امثل دور تلميذة تبحث عن عمل موسمي،

حتى وصلت الى المنزل وحاولت كبت طردي. وقد اوضح لي دايفيد انه يسامحني ابدا على خداعي له.»

اخبرتها باتي:«ولكنه لا يفكر هكذا الآن.»

احتاجت سارة الى لحظة كي تدرك مغزى هذه الكلمات. وكاد تنفسها ان ينقطع:«هل تعنين انه الآن يصدق قصتي، وأن ما فعلته كان فوريا وظننت حينذاك انها مزحة؟ انت لا تعنين...»

اومأت باتي برأسها:«انه يصدق قصتك الآن، وهو آسف، لأنه فقد اعصابه عندما عرف حقيقة شخصيتك. وقد ندم لأنه شك بنواياك نحوه، بعد ان عرف أي نوع من الفتيات انت.»

تنهدت سارة:«اتمنى ان اصدق ذلك، ولكنه تغير منذ ان عرف الحقيقة، انه لا ينظر مباشرة إلي واذا فعل اري التغيير في عينيه اللتين اصبحتا باردتين وقاسيتين، كأنه يكرهني.»

«انه مجنون بك، اي شخص يمكنه ان يلاحظ ذلك.»

«ولكنه لا يبدو لي كذلك.»

«هذا، لأنه لا يريدك ان تعرفي حقيقة مشاعره، وهذا لا يعني انه توقف عن حبه لك.»

«ولكن... ولكن...» وشعرت سارة ان السعادة التي كادت ان تضيع منها، اصبحت في متناول يدها. تمتمت مترددة:«ومع ذلك لماذا لا يخبرني بنفسه عن حقيقة مشاعره؟ هل اتوقع ان يفعل ذلك قريبا؟»

اجابتها باتي بصوت ممتلىء بالعطف:«لن يخبرك ابدا. إفهمي ذلك من الآن. السبب الأول، انه مقتنع تمام

الاقتناع بأنك لن تصدقي ابدا انه غير رأيه في صحة قصتك. ثانيا، ان كبرياءه لا تسمح في الظروف الحالية بأن يطلب منك البقاء هنا.»

قالت سارة:«هل تعنين ان السبب هو أني ورثت الكرم والممتلكات؟ ولكن ذلك لن يغير شيئا...»

«هذا الفرق هو كل الفرق في العالم، ليس بالنسبة اليك ربما، ولكن بالنسبة إليه، هذا الوضع يغير كل شيء. هل تتخيلين صعوبة وضعه الآن. انت تملكين الكرم وهو المدير فقط. هذا إذا شئت استمراره في العمل؟ وهو على ثقة من انه لن يتمكن من ان يطلب منك البقاء، حتى ولو صدقت انه غير رأيه في صحة قصتك...»

قالت سارة بيأس:«كنا سنتزوج ونعيش معا هنا، لقد كاد ان يطير من الفرح، ثم تحطم كل شيء.»

قالت باتي:«كان سيعرف الحقيقة في وقت ما. لم نستطع انا وبيل اقناعه بالتقدم لخطبتك، وسبب ذلك كي لا تظنين انه يفعل ذلك لانه يطمع بميراثك. لقد تجادلنا معه طويلا وتوسلنا إليه ان يفكر ثانية، ولكن من دون جدوى. قال دايفيد انك ستظنين به انه صائد ثروات وضيع، يتحين الفرص الكبيرة، وسوف يغتنم هذه الفرصة الحقيرة ويسترجع بها صن فالي. ولا توجد اي وسيلة كي نزيح هذه الفكرة من رأسه.»

بكت سارة من فرط يأسها وقالت:«ولكنني لن اشعر ابدا هكذا تجاه دايفيد، انني مستعدة لان اضحي بالعالم كله في سبيل ان نعود لبعضنا البعض، وبدون أي اسرار هذه المرة.» نظرت الى باتي بوجه ممتلىء

بالمشاعر والتعابير وتابعت:«انا احبه كثيراً، ويجب ان افعل شيئاً، لا بد من وجود وسيلة لإقناعه بنظرتي لهذا الامر. لو يتكلم معي فقط.»

بدا من عيني باتي انها استغرقت في تفكير عميق، ثم قالت:«يا لكبريائه، عندما يصمم على شيء...»

«انا اعرف، لم يبق لي إلا يوم واحد.»

اكملت باتي بنبرة صوت غريبة ومليئة بالعطف:«وليلة واحدة، ايضا. آوه، ستجدين وسيلة ما.» تغيرت لهجة صوتها وأضافت:«لقد كدت انسى، لقد دعونا بعض الاصدقاء، كي يأتوا ليلة الغد لوداعك. لا شيء رسمي، رفيقاتك في العمل وأزواجهن. هل بإمكانك الحضور؟»

قالت سارة متنهدة:«كنت اتمنى ان لا يكون بإمكاني ذلك.» ولكنها كانت مستغرقة في التفكير بما قالته باتي لها. لقد تغير كل شيء، انها تعرف الآن، ان دايفيد مازال يحبها.

قطعت باتي عليها التفكير:«اجلبي الغيتار معك، لا تنسي، قد يطلب احد المدعوين ان تعزفي لحنا.»

نظرت سارة إليها بوجه خال من التعابير وهي شبه واعية لطلب صديقتها:«اجل سأفعل، إذا كان هذا ما تريدين.»

امضت سارة ليلتها ما قبل الاخيرة في صن فالي وهي مثقلة بالحزن. فكرت بجميع الوسائل التي يمكن بها ان تسترجع دايفيد، وهي تتقلب على فراشها، ولكنها اقنعت نفسها اخيرا بعدم جدوى التفكير بهذا الأمر، وأنها حتما ستغادر صان فالي صباح بعد غد. لو انها

استطاعت فقط التحدث مع دايفيد، لربما تمكنت من إقناعه بما تفكر فيه بالنسبة لعلاقاتهما. ولكنه، غاب عن البيت طوال النهار، وقد قالت لها كيت، انه لن يعود حتى وقت الحفلة المسائية التي ستقام في منزل بيل وباتي، لوداعها.

استطاعت سارة بجهد ان تتمالك اعصابها، عندما حان الوقت كي تهيىء نفسها لحضور حفلة الوداع. كان لا يزال فستانها الاسود معلقا في الخزانة، ولكنها لا تريد ان ترتديه ثانية، لأن ذلك سيثير فيها الحنين، الى اليوم الذي اشترته فيه، برفقة دايفيد.

ارتدت، بدلا من الفستان الاسود، قميصاً من قماش الموسلين الابيض، وتنورة القطن المطبوع بالأزهار. وكان هذا هو كل ما استطاعت العثور عليه بين ثيابها القليلة.

لم تستطع تفسير الدافع الذي اعتراها، بأن تبحث في اعلى الخزانة، المكان الوحيد الذي اهملت استطلاعه عندما حزمت امتعتها، ربما كي تتأكد من عدم نسيان اي شيء. لم تجد شيئا، عندما تفحصت بيدها هذا الجزء من الخزانة، في بادىء الأمر، ولكن ما هذا؟ لقد لمست يدها كومة من القماش وقطعة مطوية من الورق. وجدت سارة نفسها، بعد لحظة، تحدق في لفة من القماش القطني الرفيع. ها... انه الزي اليوغسلافي الفولكلوري، والذي تجادلت، بشأنه مع دايفيد، كثيرا. ووجدت ان الورقة المطوية، هي النوتة الموسيقية لأغنيته الفلكلورية. تذكرت غضبها، وكيف وضعت الزي والنوتة

في زاوية الخزانة، بعيداً عن النظر، وهي تتمنى ان لا يقع نظرها عليهما ثانية.

ترقرقت الدموع في عينيها... كم يبدو سخيفاً، الآن، عدم تنازلهما لبعضهما البعض، حول هذا الأمر.

حاولت سارة ان تتذكر شيئاً هاماً، قالته لدايفيد في أوج غضبها، ماذا قالت له تحديداً؟ وتذكرت تحديداً، عندما قالت له: ان اليوم الذي سأرتدي فيه زيك الفولكلوري وأعزف وأغني ما تريد، سيكون اليوم الذي ارضى فيه ان ابقى هنا معك الى الأبد.

رجفت سارة عندما ادركت انها عثرت على الوسيلة التي ستصلح بينها وبين دايفيد، ايمكن ذلك؟ على أي حال، انها جديرة بالمحاولة، ولن تزيد الامر سوءاً.

تفحصت الزي بسرعة ووجدت ان قماشه الناعم غير مجعد. وأمسكت في الوقت نفسه، بورقة النوتة الموسيقية والكلمات. تسارعت نبضات قلبها. هل سيتذكرني لو ارتديت هذا الزي، في ليلتي الاخيرة هنا، وأنشدت اغنيته؟ وماذا لو فعل... وهي تعرف تمام المعرفة انه ان يطلب منها ان تبقى هنا معه، ابداً، ويبقى ان تطلب هي ذلك منه، بكل بساطة. هذه فرصتها الوحيدة كي تنفذ خطتها. انها بالفعل مجازفة كبيرة، ولكن... ولكن، في سبيل سعادتها... وصممت على استغلال هذه الفرصة الى ابعد الحدود.

جلست على السرير، والتقطت الغيتار، ودوزنت الاوتار، وأخذت تتمرن على اللحن الفولكلوري، ووجدت غرابة في ان اللحن والكلمات، قد طبعت في ذاكرتها. ومع

إيقاع اللحن، بدأت الثقة بنفسها تعود إليها. وارتفعت معنوياتها وآمالها.

عندما نظرت الى نفسها في المرآة رأت ان ملامح وجهها قد تبدلت، اختفى الشحوب والحزن والهزيمة ليحل مكانها التصميم والنضارة. يجب ان تنجح، وكي تبرهن على ثقتها بالنجاح، فكت حقيبة سفرها، واقتلعت ملصق شركة الطيران عنها. تمنت ان لا تصعد الى متن الطائرة المسافرة الى لندن، في الغد.

كانت سارة لا تزال منشرحة، عندما دخلت في المساء، المنزل الكبير ووجدت كيت تنتظرها على المنصة الامامية ترتدي ثوباً من الحرير المزهر، والمتناسق لونه مع لون عينيها، بعد ان سرحت شعرها جدائل رفيعة.

اصطنعت سارة الابتسام: «كما ارى، انت مستعدة للذهاب.»

«أوه، اجل، لا اريد ان اتأخر عن هذه السهرة. هل تعرفين يا سارة...» كان صوت كيت دافئاً وحنوناً «سوف افتقدك عندما ترحلين.»

احست سارة بالسرور، عندما ادركت من خلال حديث كيت واطرائها لها، ان المرأة اصبحت تحبها، ولكن ذلك، بالطبع، لأن دايفيد لم يخبرها بحقيقة الامر. وأحست ان سرورها يتلاشى.

قالت كيت لسارة عندما نزلتا الدرج: «لقد سبقنا دايفيد الى هناك. لا ادري ما الذي حدث له مؤخراً، في العادة، هو انسان هادىء، ولكنه في الايام الاخيرة الماضية، اصبح متوتراً وسيء المزاج، لا شك ان ذلك يتعلق

بمتاعب العمل. لقد تبدل مزاجه منذ زيارة مستوردي الشراب للكرم قبل اسبوعين.»

قال بول الذي لحق بهما:«اعيدي ما قلت. اني مسرور للتخلص من دايفيد.» ووجه حديثه نحو سارة:«لقد اصبح في اليومين الأخيرين، لا يطاق، ويجد علة في كل شيء افعله.» ثم اضاف:«سأحمل الغيتار عنك.»

قالت سارة ممازحة:«لقد كنت اعتقد. انك تجد دايفيد رئيسا رائعا!»

قال بول بحزن:«هذا قبل ان يصل مستوردو الشراب ومعهم هذا الصحافي. ومنذ ذلك الحين لا يرضيه شيء. افعل هذا، افعل ذلك. انه يتكلم بصوت مثل هدير الرعد. وأنا احاول ان اتجنبه قدر الإمكان، انت سعيدة الحظ بالابتعاد عنه.»

ساروا على الطريق الترابية حتى وصلوا الى البوابة المفتوحة. تمتمت كيت:«كنا في ما مضى نتسلق السور للذهاب الى مزرعة بيل، ليس الآن، لانه زرع الاشجار العالية ضد الريح.»

قالت سارة بعد ان شاهدت صفاً طويلاً من السيارات المتوقفة امام منزل بيل وباتي:«يا للهول، ان المكان مزدحم بالمدعوين.»

انسابت الموسيقى الحالمة من المنزل، فيما بيل وباتي وقفا على المنصة يستقبلان المدعوين.

اخذت باتي الغيتار من بول ووضعته بعيداً في غرفة النوم، ثم دخلوا الصالون المفروش بسجاد من صوف الغنم. وشاهدت سارة عددا من الراقصين يتمايلون مع

لحن شعبي في منتصف الغرفة. هل سيطلب دايفيد منها الرقص معه؟ وقفز قلبها عندما شاهدته يقف ضمن مجموعة من الرجال في آخر الغرفة. وأحست بنظرها ينجذب كالمغناطيس إليه. لا يزال كما عرفته متناسق القوام، مفتول العضلات، وذا ابتسامة متهكمة. لكنه لا يبتسم الآن وأفاقت الى نفسها عندما لاحظت ان المدعوين بدأوا يتحلقون حولها ويتمنون لها رحلة سعيدة.

صاح بها رجل، بصوت منشرح:«ما رأيك في موعد للعشاء، الاسبوع القادم في لندن.»

وعندما استدارت، رأت جسماً نحيلاً يتقدم نحوها، قالت بدهشة عندما اقترب منها:«لاري! لم ارك منذ زمن طويل.»

«من سبب هذه الغلطة؟ لقد رفضت رؤيتي في كل مرة طلبت ذلك...»

قالت بنبرة طفولية:«اعرف، اعرف ذلك. ولم اتوقع مجيئك الى هذه السهرة، انت تقيم بعيداً، وأعرف ان طائرة الميكرولايت لا تطير في الليل.»

قال لاري:«لا شيء على هذه الارض قد يمنعني من القدوم. وكنت مسرورا عندما علمت بأنك قررت فجأة العودة الى انكلترا، انا متأكد من اني حطمت الرقم القياسي في السرعة، في طريقي الى هنا، ولن يذهب سدى.» امسك لاري يدها وقادها الى حلبة الرقص.

قال لها لاري بحماسة:«عندي اخبار سوف تسرك. انا ذاهب الى لندن الاسبوع القادم. كنت انتظر مثل

هذه الرحلة منذ زمن طويل، ويبدو...» شد ذراعه حول وسطها:«... ان الرحلة جاءت في وقت مناسب.»

لم تكن سارة تصغي ولم تنتبه إلا لتحديق دايفيد المستمر بها. كان يقف بين مجموعة من المدعوين، يحمل كوب العصير بيده، وفمه منطبق بشدة.

شعرت سارة مع مرور الوقت، انها تتحرك في حلم، ولاري ملتصق الى جانبها معظم الوقت، وبسبب انشراحه لم يلاحظ ان سارة لا تصغي الى ما يقوله عن عمله وحياته وعن رغبته في الاجتماع بها في لندن.

ازداد توتر اعصابها وانفعالها مع مرور الوقت، واقتراب الصباح، وفيما تفكر كيف ستعلن عن رغبتها في الغناء لهم، علا صوت رجل:«نريد اغنية منك، يا سارة، لحنا نتذكرك به.»

لقد لاحت الفرصة المناسبة كي تضع خطتها موضع التنفيذ ربما، سيكون القدر الى جانبها. الليلة. نظرت الى الجمع مبتسمة وأجابت:«سأغني بكل سرور.»

تسارعت نبضات قلبها ولم تجرؤ على النظر في اتجاه دايفيد. وقالت:«سأجلب الغيتار.»

سمعت الصيحات والتصفيق وهي تستدير لتذهب وتجلب الغيتار. بدلت بسرعة ثيابها، وارتدت الزي الفولكلوري الاوروبي الذي كان مخبأ داخل الغيتار. وقد ابهجها منظرها عندما نظرت في المرآة، وكأن الزي الفولكلوري صمم لأجلها. لقد حانت اللحظة التي فيها سيتقرر ما إذا كانت ستعيش بقية حياتها مع الرجل الذي تحبه. يجب ان تنجح.

خيم الصمت على الغرفة عندما دخلتها وأخذت مكاناً في وسطها. ابتسمت للجميع، ودوزنت أوتار الغيتار، لا تنظري الى دايفيد، ليس بعد.

اتى صوتها واضحا وقويا، عندما بدأت غناء انشودة حفاري الصمغ، وتلاشت جميع الاصوات الاخرى.

نظرت مباشرة الى دايفيد، عندما انتهت من غناء الانشودة، وسط موجة من التصفيق. وبدا عليه التحول عما كان في بداية السهرة. لقد لاحظت بداية لمعان في عينيه. والنظرة التي حدق فيها... وفي لحظة اتجه نحوها.

وصل إليها قبل لاري، بجزء من ثانية، ولم تأبه للخيبة التي ظهرت على وجه لاري، فهي لم تعد ترى شيئاً في العالم غير دايفيد، فيما هو يقودها الى حلبة الرقص على انغام لحن فالس.

غمرها بين ذراعيه، تحركا معاً، فيما كانت تجتاحها موجة من السعادة الطاغية. اختفت الوجوه وتلاشت الاصوات ولم تعد تشعر إلا بوجود دايفيد.

تمايلا بصمت حول حلبة الرقص ثم قادها دايفيد الى الحديقة التي زينتها اضواء النجوم. وفي ظل شجرة اخذها دايفيد بين ذراعيه وشدها إليه، ثم قبلها وقال بصوت منفعل:«إحبك.»

«انا احبك ايضا.» اجتاحتها السعادة عندما تجاوبت مع عناقه ثم اضافت:«لقد تذكرت؟»

امسك وجهها بين يديه:«يا حبيبتي... لا يمكن ان انسى شيئا عنك، لقد احببتك منذ اللحظة الاولى لقدومك.»

قالت ممازحة:«حتى عندما عرفت من انا في الحقيقة؟»
تهدج صوته فجأة:«احببتك كل الوقت. لقد مرت علي الأيام الماضية صعبة ومؤلمة جدا. واعتقدت اني لن اراك ثانية ابدا.»
«ظننت انك لا تريدني.»
«لا اريدك، يا حبيبتي؟» عانقها بشوق وكأنه يؤكد شعوره وهمس في اذنها:«لن اتركك ابدا. سنكون فريقا رائعا، انا وانت، ستبقين الى جانبي دائما، وربما مستقبلا، لن نبقى أنا وأنت بمفردنا، هل تعرفين ما اعني؟»
رفعت سارة نظرها إليه وأجابت:«اجل، ننجح في صناعتنا، يجب ان نصنع كل شيء بالحب.»
عندما رجعا اخيرا الى الحفل، كانت عينا سارة تلمعان وبدا على وجهها الحب والسعادة.
رفع دايفيد يديه في الهواء وقال:«يا اصحابي عندي مفاجأة سارة لكم. أن سارة لن تغادر صن فالي غدا، ستبقى هنا معنا.... لقد قررنا، انا وهي الزواج قريبا، وجميعكم مدعوون الى حفل الزفاف...»
غرق صوته بين الصيحات والهتافات التي ترددت في الغرفة، ورأت سارة وجه لاري المذهول. ولكنه منحها ابتسامة مخلصة واختفى عن ناظريها.
ونسيت كل شيء فيما عدا هتافات مبروك.

تـمت